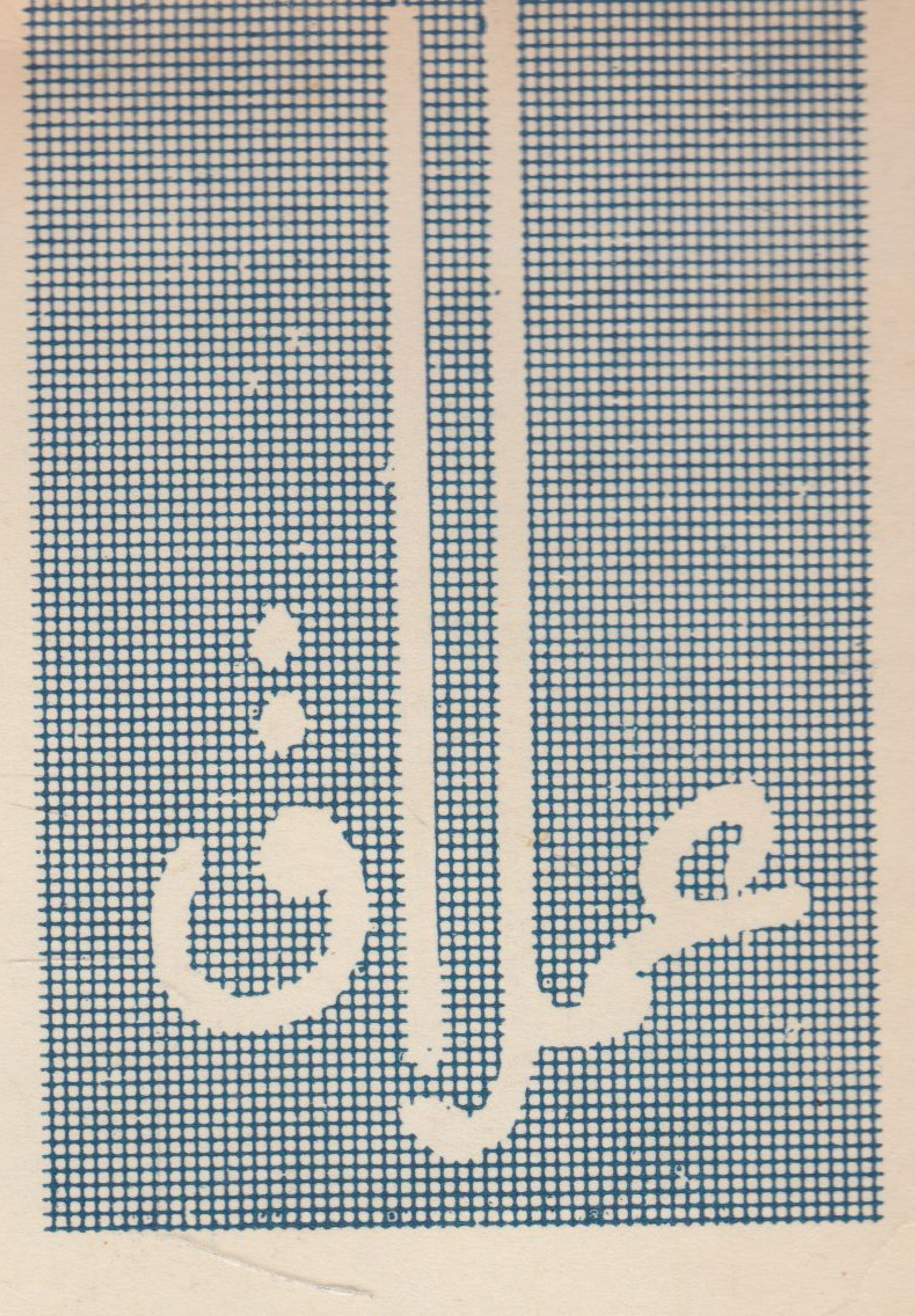
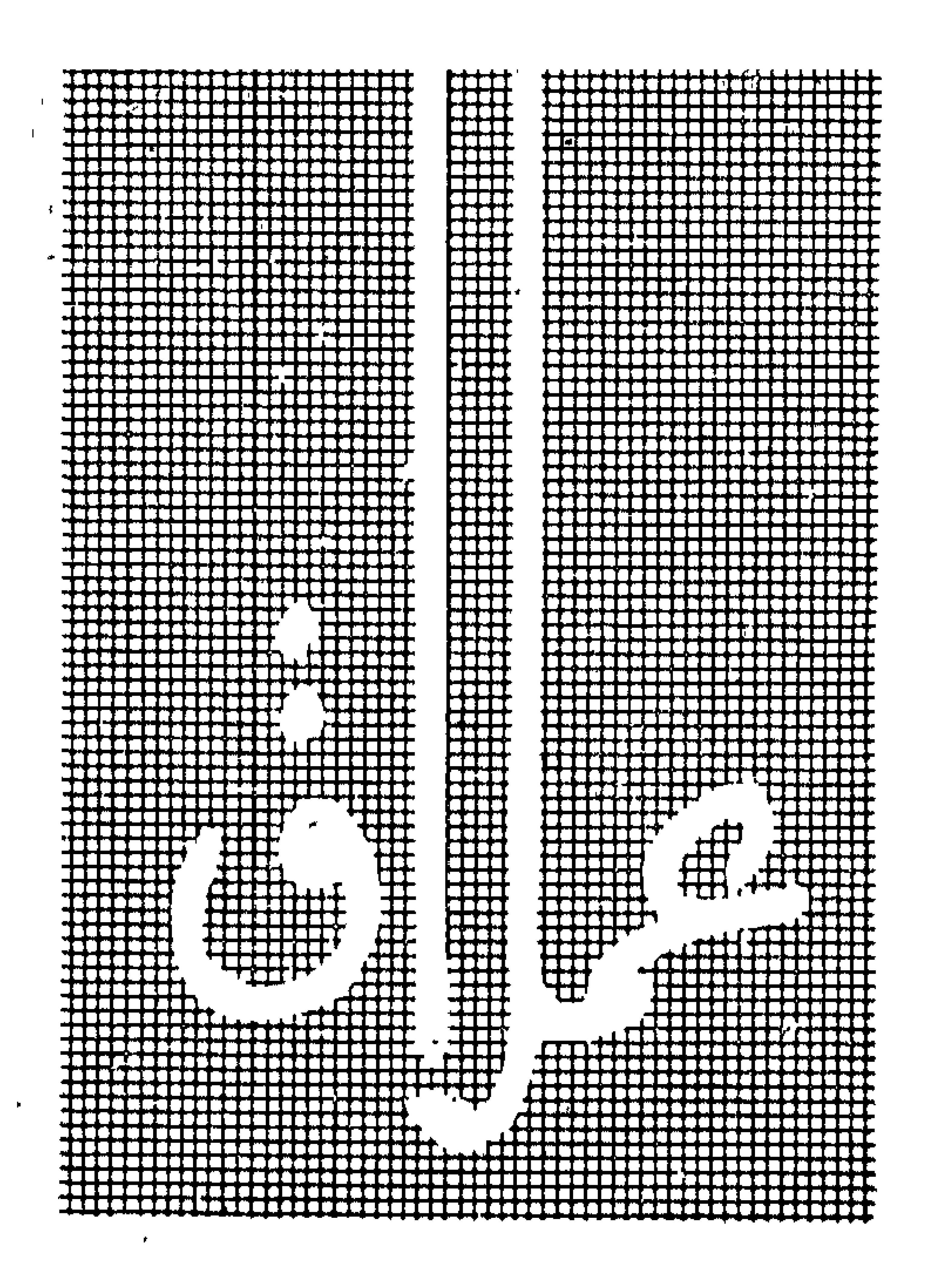


من بني مر

بقلم
سليمان مظهر

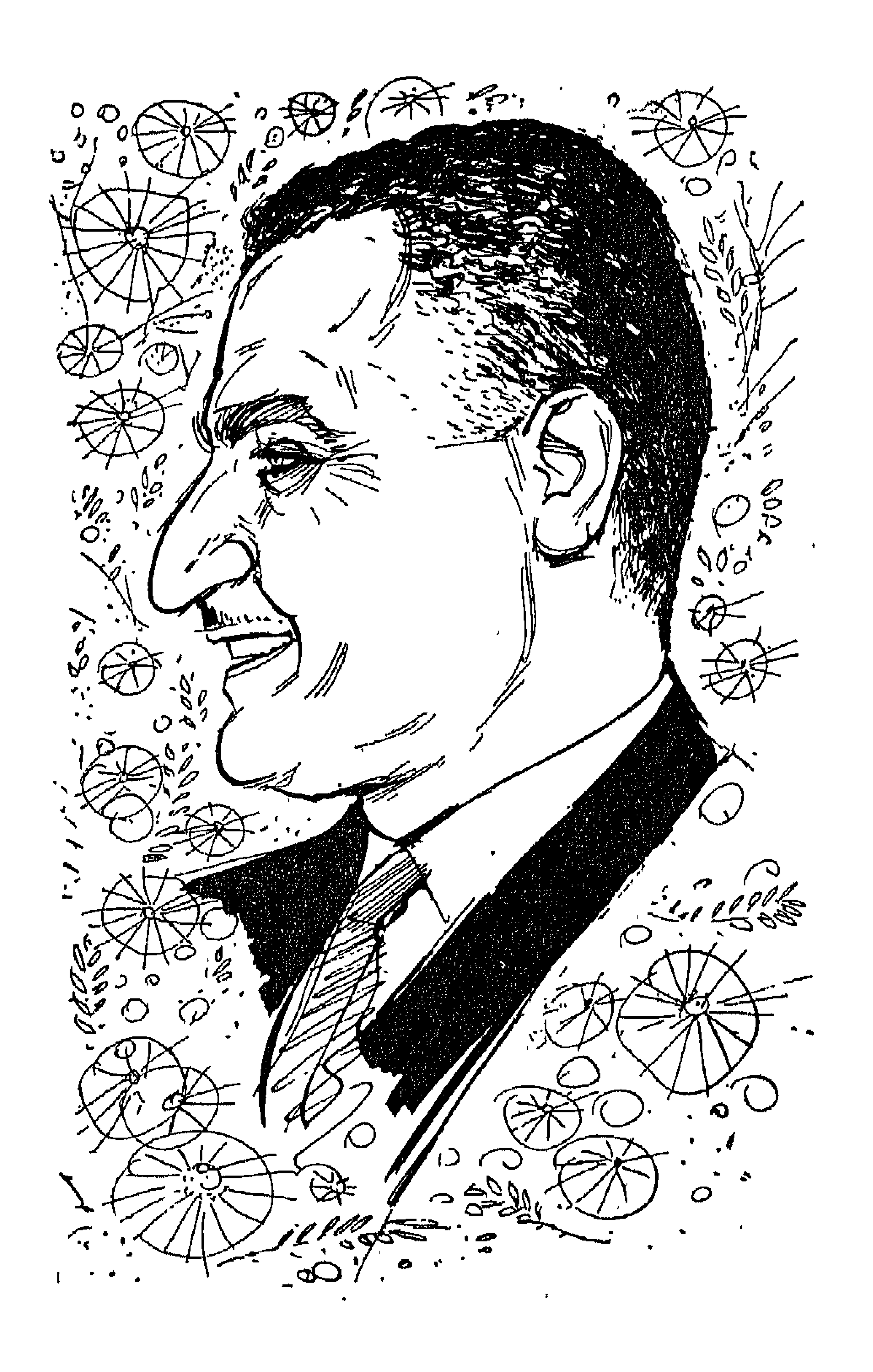
كتب قومية



من بني مصر

بقلم
سليمان مظهر

كتب قومية



هذا العملاق

عندما استيقظ شعبنا فى صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كانت كلماته الاولى وهو يرى طلائع الثورة ، عن البطل الذى قاد هذه الثورة الفدائية العاصفة التى فاجأت أعداءها كما فاجأت أصدقاءها .. فاجأت الاقطاعيين وأسرة محمد على والمستعمرين ، كما فاجأت الملايين من أبناء شعبنا حين ذاك ..

لماذا فوجىء الجميع ؟ .

لان أعداء الشعب كانوا فى أوج قوتهم ، يحكمون البلاد بالحديد والنار وحظر التجول .. ولان الشعب كان بلا قيادة سياسية حقيقية ..

.. لقد تفسخت مؤسساته السياسية الحزبية التى قادته فى انتفاضات سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ وما بينهما من معارك ضد الملك والاستعمار ..

وفى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الشعب يقف وحده .. وكان زعماء أكبر أحزابه يصطافون فى أوربا .. وفجأة استيقظ الشعب فوجد ان طليعته الثورية قد نزلت الى الشارع وأعلنت الثورة ثم خلعت الملك ، وضربت الاقطاع .

والبطل الذى قاد هذه الثورة ظل بعيدا عن الاضواء .. لسبب بسيط ، هو من صميم طبيعة هذا البطل الذى صنع الثورة وقادها ..

ففى صميم طبيعة هذا البطل ، فدائية لا تبحث عن جائزة لأعمالها الفدائية ..

وعندما أبرزت التطورات الثورية بطل الثورة على رأس الصفوف ، ظل البطل محتفظا بطبيعته الاصيلة : فدائيا ، يفدى شعبه ووطنه ، ولا يبحث عن جائزة للفداء ..

هذه الروح الثورية الجوهرية فى كيان جمال عبد الناصر ، هى التى وجهت الاحداث خلال الاعوام العشرة الماضية ، بحيث ننظر الآن الى الشوط الذى قطعناه تحت قيادته ، وكأننا ننظر من قمة جبل شاهق الى سفح سحيق !

والذى نراه من القبة التى ننظر الآن من فوقها ، لا يمكن أن نصدقه الا اذا تذكرنا دائما طبيعة الرائد الذى زحف بنا من السفح الى القمة ، وقادنا عبر المسالك الوعرة ، وتخطى بنا الاشواك والعقبات ، ورسم لنا الخطط الناجحة للصعود المستمر ·· الصعود بلا انقطاع من سفح اليأس والجمود ، الى قمـــة الامل العريض والحركة الوثابة التى يهز هديرها الدنيا كلها ·

ورحلتنا وراء عملاق بنى مر خلال السنوات العشر الماضية ، كانت رحلة فى طريق تكتنفه ظلمات المجهول ·· ولم يكن الطريق معروف المعالم حتى للرائد البطل نفسه ، ولكنه كان مؤمنا بأننا لا بد أن نسير فى هذا الطريق ، لأنه البديل الوحيــد لطريق اليأس والخيبة والدمار الذى كان المستعمر وأذنابه يقسرون شعبنا على السير فيه ··

والآن ·· لم يعد سرا ان جمال عبد الناصر عندما قاد الثـــورة فى فجر ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كان يفكر فقط فى وجوب قيام الثورة كرد شعبى ثورى على الطغيان والاستعمار والاقطاع ··

ان طبيعة عبد الناصر كفدائى ثائر ، فتحت له باب الثورة ، فاندفع فيه مع رفاقه الباسلين ، ليعلن ارادة الشعب فى الثورة على أعدائه ··

ولكن تفجير الثورة هو الخطوة الاولى·· فماذا تكون الخطوة الثانية!

هذا هو السؤال الذى طرحته الاحداث الثـــورية على قائد ثـــورة ٢٣ يوليو ·

وكان لا بد له من الاجابة عنه ، لان الثورة ليست خلع نظام واحلال نظام آخر فى مكانه ·· ليست الثورة انقلابا ، بل تعبيرا عميقا عن ارادة الشعب الثورية ورغبته التاريخية فى تحـويل طريقة حياته ، والتخلص من الآفات الاجتماعية والسياسية وغيرها من الآفات التى توارثتها أجياله المتعاقبة ألوف السنين !

وبنفس الطبيعة الفدائية ، أقبل جمال عبد الناصر على واجبه الجديد بعد قيام الثورة ·

لم يعد زهده فى الاضواء هو المحور الذى يمـــكن أن تدور حوله الثورة لتنجح ·· لان كل أضواء الثورة ستتعرض للانطفاء اذا تخلى عنها بطلها الذى انبعثت منه شرارة الضوء ·

وعندما جلس عبد الناصر فى كرسى الحكم ، لم يكن حاكما ، بـل كان هو نفسه الفدائى الذى اقتضته واجباته كفدائى أن يجلس على هذا الكرسى ··

ثم انقضت عشر سنوات ·· ولم يعد أحد يتصور الآن ان جمـــال عبد الناصر شخصية حاكمة كهذه الشخصيات التى تحكم دول العالم ·· لأن عبد الناصر أصبح خلال هذه السنوات رمزا تاريخيا ورائدا وصاحب فلسفة سياسية واجتماعية وقومية ··

***

لقد واجهت ثورتنا بقيادة جمال عبد الناصر موقفا داخليا معينا ، يرتبط بموقف خارجي .

ولم يبحث جمال عبد الناصر في صفحات الكتب عن نظريات جاهزة تهديه سواء السبيل في موقفيه داخليا وخارجيا .. لأن ظروف بلادنا الخاصة ، جعلت البحث عن نظريات جاهزة ضربا من العبث لا يمكن أن يحل مشكلاتنا .. وهكذا أصبح واجبا على جمال عبد الناصر أن يكتشف خلال النشاط العملي لثورتنا كل الطرق التي تؤدي الى النجاح ..

ومن خلال العمل المتواصل ، تراكمت التجارب الصحيحة لدى جمال عبد الناصر ، وظهرت معالم طريقنا الخاص بنا في موقفينا الداخلي والخارجي ..

وأصبحت لبلادنا بفضل تجاربها الخاصة ، خبرة بمعالجة مشكلاتها بنفسها ، طبقا لحاجاتها ومبادئها وأهدافها .. وانبثقت من خلال تجاربنا الثورية ، نظرياتنا الثورية الخاصة .. وهذا هو السبب الرئيسي في اننا لا نحتاج الى نظريات أجنبية من الغرب أو الشرق لتطبيقها في بلادنا ..

الا ان استخلاصنا لنظرياتنا الثورية الخاصة من تجاربنا الثورية المتوالية ، لم يكن أبدا انغلاقا قوميا متعصبا يرفض الاستنارة بتجارب الآخرين ونظرياتهم ، بل كان مجرد ادراك منا للاختلاف الجذرى بين مشكلاتنا ومشكلات غيرنا .. وقد ساقنا هذا الاختلاف الجذرى الى البحث عن حل خاص لمشكلاتنا الخاصة .

وبفضل عبقرية جمال عبد الناصر فى استخلاص النظرية الثورية من العمل الثورى .. تكاملت لثورتنا بمرور الوقت فلسفتها الخاصة ، التى تتمثل داخليا فى النظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى .. وتتمثل قوميا فى الوحدة العربية كتعبير عن الارادة التاريخية للقومية العربية .. أما فى العلاقات الخارجية فتتمثل فى سياسة عدم الانحياز كتعبير عن الرغبة فى التعاون الدولى الحر ، بلا انحياز الى كتلة معينة من الكتلتين الكبريين اللتين تتنازعان العالم الآن .

ولم تكن عبقرية جمال عبد الناصر تعمل وحدها فى هذا المجال .. بل كانت تعمل معها ارادته الحديدية ... ارادة الفدائى الذى لا يجلس فى كرسى الحكم بعقلية الحاكم وروحه ، بل بعقلية الفدائى وروحه وارادته .

لقد كانت المغريات التى أحاطت بعبد الناصر كثيرة جدا . وكلها كانت تهدف الى تحويله عن الطريق الصحيح الذى اكتشفه بنفسه لبلاده واستخلص له نظريات العمل ، من خلال العمل نفسه . ففى الداخل كانت القوى القديمة المنضوية تحت لواء الاقطاع والرأسمالية الاحتكارية، تتصور أن عبد الناصر يمكن أن يقنع بتحقيق بعض شعارات ثورته دون أن يمس المصالح الجوهرية للاقطاع والرأسمالية الاحتكارية .

وهنا برزت الارادة الحديدية الى جانب عبقرية عبد الناصر لتحبط

كل آمال الاقطاع والاحتكار الرأسمالى ٠٠ ففرضت ارادة عبـــد الناصر باعتبارها تعبيرا عن ارادة الشعب ، خط السير الصحيح فى الداخل ٠٠ وتوالت ضرباته للاقطاع والاحتكار الرأسمالى ٠

والآن ٠٠ ماذا نرى فى بلادنا ٠

نرى أننا نعيش فى ظل اشتراكية عربية خالصة منبثقة من واقعنا الحى ٠٠ اشتراكية نضع أسسها لبنة فوق لبنة ٠٠ يشيدها جمال عبد الناصر قائدنا الثورى بقرارات يصدرها بين الحين والحين ، ترسم لنا معالم الطريق ، وتدفع مجتمعنا الى مرحلة جديدة كل يوم فى تحقيق الاشتراكية٠ واذا كانت قد صدرت قرارات كثيرة حتى الآن فلا تزال هنـــــاك خطوط أخرى كثيرة طويلة ٠ لان طريق الاشتراكية طويل ٠ وعبد الناصر بارادته الحديدية التى تعمل مع عبقريته الثـــورية ، مصمم على أن يحقق ارادة شعبنا فى بناء المجتمع الاشتراكى السليم ٠

وهكذا فشلت أحلام الاقطاع والاحتكار الرأسمالى فى توهين ارادة بطلنا للسير بنا نحو الاشتراكية التى رفعها البطل شعارا اجتماعيا من شعارات الثورة ٠

وفى مجالات العمل الثورى الاخرى داخل وطننا يمكن أن نجد مئات الأمثلة من هذا القبيل ، وكلها تدل على أن عبد الناصر الفدائى الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو قد اكتشف الطريق الصحيح لبلاده ٠ من خلال التجارب الثورية المتوالية ، ولا توجد الآن قوة مهما بلغت ضخامتها تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى الطريق الصحيح ٠

***

وماذا عن الموقف الثورى الذى يتخذه جمال عبد الناصر ازاء العالم المحيط بنا ٠

ان هـــذا الموقف امتداد لموقفه الداخلى ولا يمكنه أن ينفصــــل عنه ٠٠ فقد اكتشف جمال عبد الناصر خلال تجاربه الثورية أن لبــلادنا وضعها الخاص بها ٠٠ فهى لا تستطيع أن تزج بنفسها فى غمـار الحرب الباردة لأن ذلك سيعرقل تطورها فى الداخل ، ويخرجها من التبعيـــة للاستعمار ــ كما كانت فى العهد الملكى ــ الى السير فى ركاب تبعية من نوع جديد ٠٠

وعندما اكتملت فكرة الحياد الايجابى لدى جمال عبد الناصر ، ذهب بها الى مؤتمر باندونج التاريخى ٠٠ ثم أصبح الحياد الايجابى وعـــدم الانحياز سياسة خارجية لنا ترتبط أشد الارتباط بما يجرى داخل بلادنا من تحولات ثورية عاصفة ٠٠

وقد أصبح واضحا لشعبنا الآن أن الانحياز سيفضى بنا الى التخلى عن طريقنا الثورى فى الداخل ٠٠ لأن الانحيــــاز الى الغرب ، سيتبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة ، أى فى التنظيم السياسى والاجتماعى ،

فيرتع الاقطاع وراس المال والساسة المحترفون في بلادنا ، ليدمروا كل ما شيدناه بعرقنا ودمائنا لجيلنا وللأجيال القادمة ..

أما الانحياز الى الشرق ، فسيتبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة كذلك .. وقد برهنت الحياة نفسها على أن بلادنا لا يمكن أن تعيش فيها الا طريقة حياتها الخاصة المستمدة من مثلها العليا وأهدافها القومية الثورية ..

ولكن عدم الانحياز لا يعنى موقفا سلبيا تتخذه بلادنا حيال مايجرى حولها فى العالم .. لأن ما يجرى فى العالم يهم بلادنا مباشرة ، لسبب بديهى ، وهى أنها جزء من هذا العالم تتأثر بما يجرى فيه ..

وقد انتفت السلبية تماما عن موقفنا الخارجى بمئات البراهين ..
فنحن نتخذ فى قضية السلام العالمى موقفا صلبا يستند الى مبادىء راسخة ، وقد شهد العالم كله كفاحنا المستميت فى سبيل تدعيم السلام العالمى ومحاربة القوى التى تحاول تحطيمه ..

وقد ساهم انتصارنا على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ فى تدعيم السلام العالمى وتقليم أظافر القوى الساعية لتعكير الامن الدولى ..

وعندما أرسلنا قواتنا الى الكونغو ، كنا نهدف الى المساهمة فى أبعاد الحرب الباردة عن هذا البلد الأفريقى الناهض .

وكان التقاؤنا بأشقائنا الافريقيين فى العمل المشترك من أجل تدعيم الاستقلال للدول الافريقية الناشئة ، عملا كبيرا لتدعيم السلام العالمى ، بابعاد الحرب الباردة عن القارة الافريقية ..

وهذه المواقف كلها ، التزمها عبد الناصر كقائد ورئيس لبلادنا ، لا لأسباب عاطفية ـ مع توافر هذه الاسباب ـ ولكن لأسباب موضوعية بحتة تتعلق بمصالح بلادنا ومصالح الشعوب الاخرى .. الشقيقة ، وغير الشقيقة ..

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نفهم موقف التأييد القوى الذى كان لعبد الناصر ازاء ثورة كوبا عندما هوجمت بالسلاح .. وكانت برقية عبد الناصر الى كاسترو تحمل كل المعانى الاساسية لموقف بلادنا حيال قضية السلام العالمى .. هذا الموقف الثابت الذى لا يفرق بين بلد وبلد ، وبين قارة وقارة ..

وعلى هذا الاساس أيضا نستطيع أن نفهم جانبا من موقفنا ازاء اسرائيل ..

فاذا نحينا جانبا كل الاعتبارات القومية والحقوق الشرعية الخاصة بعرب فلسطين .. وجدنا ان موقفنا من اسرائيل سيظل كما هو الآن ، لأن اسرائيل بؤرة للحرب فى منطقتنا ، ومعسكر مسلح يخدم مصالح القوى المعادية للسلام العالمى .. ولهذا تقف بلادنا بالمرصاد لاسرائيل ، ولا تغفل عن مؤامراتها لحظة واحدة ، لان التسامح مع اسرائيل ، سيقضى

بنا في النهاية الى التسامح مع أعداء السـلام العالمى أنفسهم ، ثم تسليم قضية السلام العالمى لخصـومها الالداء ، يعبثون بهـا كيفما شاءوا ، ويعرضون أرواح الملايين فى العالم كله للدمار فى الحرب الذرية ..

وهكذا أصبح موقف عبد الناصر الخارجي ، يتمثل في عدم الانحياز كسياسة ثابتة لابعاد بلادنا عن الحرب الباردة ، ولتخفيف الحرب الباردة نفسها على المستوى الدولى ، وتدعيم السلام العالمى ، وتوطيد الصـداقة والتعاون مع جميع الشعوب على قدم المساواة ..

وهذا هو الطريق الصحيح الذى اكتشفه جمال عبـد النـاصر لسياستنا الخارجية ، وهو طريق معبـد يمتد فى موازاة طريقنا الداخلى ويلتقى به فى عدة مواضع ..

وكما لا توجد هناك قوة تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى طريقه الداخلى الذى اكتشفه لبلادنا ، فانه لا توجد أيضا قـوة فى العالم تستطيع أن تصرفه عن السير فى الطريق الخارجى الذى يتفق تماما ومصلحة بلادنا ، ومصلحة منطقتنا ، ومصلحة السلام العالمى كله ..

وقد كان جمال عبد الناصر واثقا بنفسه تماما عندما دعم عـلاقات بلاده التجارية وغيرها مع المعسكر الشرقى .. ولـما ثارت الاكاذيب فى البلاد الغربية ضد عبد الناصر تتهمه بالانحياز الى الشرق لم يأبه لهـا ، ومضى واثقا بنفسه فى طريق الصداقة مع جميع الدول والشعوب !

والآن .. ماذا عسى أن يقول أولئك الذين أسرفوا فى القاء الاتهامات جزافا على طريق عبد الناصر الخارجى ؟

لقد أصبح كل شيء واضحا الآن .. وأيقن كل الناس ، من أصدقاء وأعداء ، ان طريق عبد الناصر الخارجى ، كان طريق بلاده الخاص ، وقد مضى فيه بلا انحراف .. وما يزال يمضى .. ولن يزال ..

***

وفى الطريق الى القومية العربية ، مضى بنا جمال عبد الناصر ، كما مضى فى طريق المجتمع الاشتراكى وعدم الانحياز .

وكان طريق القومية العربية أيضا يحتاج الى من يكتشفه على حقيقته ليسير فيه بشعبنا الذى طال انقطاعه عن أشـقائه العرب فى مشرقهم ومغربهم .

ومرة أخرى ، لم يلجأ عبد الناصر الى النظريات الموضـوعة عن القوميات لكى يستخلص منها موقفه وموقف شعبنا من قضـية القومية العربية .. بل استطاع أن يستخلص من تجارب النضال العربى فلسفة القومية العربية ومنهاج الوحدة العربية .

واكتشف عبد الناصر خلال النضال العربى الذى قاده ، أن الوحدة

المنشودة بين أجزاء الوطن العربى لا يمكن أن تجىء قسرا ، ولا يمكن أن تتحقق عن طريق حربى كما تحققت وحدة المانيا وايطاليا مثلا فى القرن التاسع عشر .

واكتشف عبد الناصر فى القومية العربية طبيعتها الاجتماعية الثورية ، فهى ليست مجرد انضواء تحت راية واحدة وحكومة واحدة ، بل هى أسلوب ثورى لتحويل المجتمع العربى من مجتمع متخلف اقطاعى الى مجتمع متقدم صناعى ترفرف عليه العدالة الاجتماعية المتمثلة فى الاشتراكية العربية ..

واكتشف عبد الناصر ان القومية العربية هى بطبيعتها معادية للاستعمار ، ولا يمكن أن تلتقى معه ، بل ولا يمكن أن تحقق أهدافها الا بنضال لا هوادة فيه ضد الاستعمار وعملائه ..

وهكذا تكاملت بالتدريج نظرية القومية العربية من خلال النشاط الثورى الذى قاده جمال عبد الناصر لتحقيقها .. وأصبحت لها جاذبية جماهيرية لا يمكن اغفالها فى أى مكان من الوطن العربى الكبير ، مهما كانت طبيعة الحكومات القائمة هناك ..

وقد استطاعت هذه النظرية أن تفند كل الحجج الزائفة التى يتذرع بها بعض الحكام العرب لضم أجزاء من البلاد العربية اليهم .. عن طريق القوة ..

فان محاولة ضم الكويت الى العراق ، أو محاولة ضم جزء من صحراء الجزائر الى تونس ، هما محاولتان تتعارضان مع طبيعة النضال العربى الذى يستهدف توحيد البلاد العربية ، عن طريق الاقناع والاجماع ، لا عن طريق الفتوح العسكرية ..

وفى مواجهة أعداء القومية العربية ، لا يمكن للعرب أن يحرزوا النصر النهائى ، الا بالسعى الدائب للتضامن العربى ، باعتباره طريقا الى وحدة العرب ..

ولو كانت الامة العربية قد سارت الآن فى طريق الوحدة الى حد كاف ، لما استطاع الاستعمار الفرنسى أن يبقى فى الجزائر ، ولما استطاعت اسرائيل أن تبقى فى فلسطين ، ولاسترد العرب قطع الارض السليبة ، فى أطراف سورية — كالاسكندرونة — وفى أطراف العراق — كعربستان — وفى أطراف المغرب — كموريتانيا — وفى كل مكان آخر من بلاد العرب الفسيحة ..

وبعد ..

فان البطل الذى قاد الثورة فى صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بروح فدائى لا ينتظر جائزة الفداء ، ما زال يقود هذه الثورة بعد أن شقت طرقها الثلاثة الكبرى : المجتمع الاشتراكى ، والقومية العربية ، وعدم الانحياز ..

وقد تكاملت نظريتنا الثورية الآن ، وما زالت تكسب جديدا كل

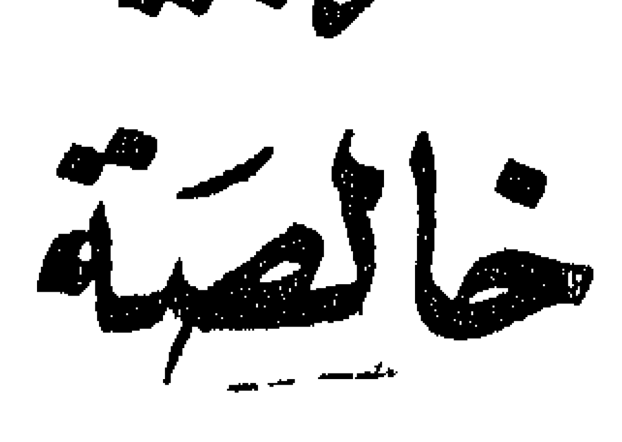
يوم ، بفضل هذا الرجل المتواضع الذي يعمل ليل نهار كما يعمل الفدائيون ..

وفي عيد الثورة العاشر ، ينحني التاريخ اجلالا لاعمال عبد الناصر الثورية ، ولكن عبد الناصر يظل كما كان دائما .. فدائيا منكرا لذاته.. يعمل .. ويكتشف الحقائق خلال العمل ويعطي العمل الجديد كل الحقائق التي اكتشفها خلال العمل القديم .. ومن خلال هذه الحقائق كلها تبرز حقيقة الثورة الكبرى التي قادها عبد الناصر وسيظل يقودها الى أعظم الغايات ، وأبعد الاهداف ..

تحية للثورة .. ثورة كل العرب ..

وتحية لبطلها .. بطل جميع العرب ..

من أجل اشتراكية عَربيّة خالصة





ـ أبى •• لماذا نأكل اللحم ، والفلاحون الذين يرعون الماشـــية ويربونها لا يأكلونه •• ؟!

وكان السؤال مفاجئا للموظف النـــازح من بنى مر ، وهو يسمعه لأول مرة من بين شفتى ولده الذى لم يتجاوز الثامنة بعد •

والحق ان أكثر الفلاحين ما كانـــوا يأكلون اللحم على الاطلاق •• ولا كان يفعل ذلك أحد آخر من أفراد أسر القرية التى كانت تمضى بهـا الحياة ، تماما كما تمضى بالعشرات والمئات من الاسر التى كانت تعيش لتعمل من أجل أن يتخم الآخرون •• من العاطلين الذين ورثوا البطالة مع الثروة عن آبائهم وأجدادهم ليبعثروا نتاج العرق والجهد الذى يبـــذله الفلاحون ، فى دور اللهو والرقص •• والمواخير •• !

غير ان الرجل كان يعلم أن ولده على حق وانه كان يمكن أن يكون واحدا من هؤلاء الذين يعيشون تحت سلطان الورثة العـــاطلين لولا انه استطاع أن يرتفع بنفسه وعائلته عندما حصل على وظيفة فى الاسكندرية •• بعيدا عن القرية ••

ولم يعرف الرجل الطيب كيف يجيب ولده •• أما الولد نفسه فقد عرف بعد ذلك بسنوات كيف يجيب على السؤال الذى ظل يدوز فى رأسه كدوامة منذ ذلك اليوم ، حين استطاع أن يحقق بنفسه قانون الاصـــلاح الزراعى وأن يسلم بيـــده شـــهادات التمليك للفلاحين الذين كانوا كما مهملا •• ثم أصبحوا على يد فلاح بنى مر هم السادة أصحاب هـذه الأرض ••

والذين عاشوا الأيام الذليلة التى شهدتها مصر ، حين كان أصحاب الكروش البارزة هم وحدهم أصحاب كل شىء ، ثم عاشـوا الايام البيض التى شهدتها مصر وهى تنفض عن نفسها ادران حـكم فاسد سيطر على قدراتها لسنوات رهيبة طويلة •• هؤلاء يســتطيعون أن يدركوا حقيقة المعجزة التى انبثقت عنها أرض بنى مر •• المعجزة التى ظـــل أبنـــاء هذا الشعب يرفعون أكفهم كل يوم الى السماء من أجل أن تحدث •• وهم يهتفون ويتضرعون : يا رب •• هل من معجزة •• هل من بطل يا رب ؟!

ومن أعماق هذا الشعب جاءت المعجزة .. وانبثق بطل عملاق عرف كيف يزيح الكابوس الرابض على الانفاس .. ويضرب الضربة التى كان يجب أن تحدث قبل ذلك بسنوات طوال .. يوم وقـــف قائد آخر .. عملاق .. وفلاح أيضا .. يريد أن يستخلص حقوق الشعب من بـــين أنياب أسرة فاسدة ألقت بنفسها فى أحضان المســـتعمرين .. وصرخ عميدها عندما سمع طلبات الشعب من فم أحد أبناء الشعب « كل هـــذه الطلبات لا حـــق لكم فيها .. وأنا ورثت ملك هذه البـــلاد عن آبائى وأجدادى . .وما انتم الا عبيد احساننا » .

وكانت هذه الصورة مثيرة حقا .. صـــــورة أن تكون مصر ضيعة تباع وتشترى ويتصرف أصحاب الكروش الضخمة فى أصحابها الأصليين من الفلاحين وكأنهم العبيد ..

وانتفض عرابى وهو يهتف : لقد خلقنا الله أحرارا .. ولم يخلقنا تراثا وعقارا .. فوالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم ! ..

على أن «عرابى» .. وان فشل فى تحقيق حلمه بسبب سلسلة من الخيانات والاحقـــاد والنذالات التى كانت تسيطر على بعض الرءوس .. لم ينس عملاق بنى مر هذا الحلم .. بل ظل يذكره ، حتى وقف ذات يوم .. بعد أن تفض يديه من الطغاة ــ يعلنها فى الناس قوية راعدة : « اذا قلت اننى أشعر بشعوركم ، فلأن قلبى من قلبكم ودمى من دمكم ، واحساسى من احساسكم . ولأول مرة فى تاريخ مصر استطاعت فئة من أبناء مصر أن تشعر شعورا متحدا قويا ، وأن تقيم على أرض مصر حكاما من أبناء مصر . »

***

وفى الحق .. أن سر عبـد الناصر .. يكمن فى هـــذه الكلمات القليلة .. الصافية ..

فهو واحد من أبناء الشعب .. تبلورت فى قلبه وعقله وضميره ، صورة صادقة لحقيقة حياة هذا الشعب ..

وكان جمال يعيش فى أعماق الصورة .. نفسها ..

وكانت الصورة فى الحقيقة رهيبة .. مخزية .. فالشعب ، يجثم على أنفاسه أذناب الاستعمار بكامل قذاراتهم ودناياهم ، والمجتمـع عامر بالظلم الاجتماعى لا يدع فرصة لمصرى ليملأ رئتيه بالهواء النقى ..

والفساد والرشوة والنفاق هى العملة التى تتعامل بها كل الطبقات، والديمقراطية الزائفة هى التى يغطى بهـا الجميع دكتاتورية الاستعمار والسراى ..

وعاش عبد الناصر وفى الإعماق منه احساس بما يعيش فيه الشعب . احساس ربما لم يدرك كنهه جيدا الا بعد أول ضربة هبطت على رأسه من عصا غليظة تفجر لها الدم وهو بعد لا يزال فى الثالثة عشرة ..

وكانت الضربة اصابة واحدة من بين ضربات أخرى كثيرة أصابت زملاءه الذين اشتركوا معه فى مظاهرة الاسكندرية التى خرجت تهتف بسقوط الاستعمار وأذنابه بعد أن ألغى إسماعيل صدقى الدستور ، وأرسل زبانيته ليخنقوا صيحات الحرية فى حلوق المصريين .

فهناك فى ميدان المنشية بالاسكندرية .. كان جمال يرفع عقيرته الصغيرة بحياة مصر حين أقبل لوريان مليئان برجال البوليس انهالوا على التلاميذ الصغار بهراواتهم الثقيلة . وبدأ الطلبة يتفرقون فى ذعر ، وفجأة ، رفع أحد رجال البوليس هراوته وضرب بها الصبى الصغير ، ولم يكد الفتى يقع على الارض وهو يرفع يديه فى محاولة لحماية رأسه حتى تقدم رجلان آخران من رجال البوليس ورفعاه عن أرض الشارع فى ضراوة ، على حين انهال ثالثهم عليه بالضرب مرة أخرى . وتدفق الدم ساخنا من رأس جمال ..

وعندما عاد جمال الى المدرسة كانت الضمادات فوق رأسه وشاح شرف له بين زملائه .. وكانت جراح رأسه جزءا من تربيته السياسية التى تلقاها وهو بعد طالب صغير ، ليشرع منذ ذلك اليوم فى المشاركة فى الحركات السياسية واحدة بعد أخرى .. وليس له من هدف غير تحرير مصر من النفوذ الأجنبى .. ونفوذ الحكام من أذناب الأجنبى ..

والحق .. ان النفوذ المزدوج الذى كان يسيطر على قدرات مصر كان أثقل من أن يحتمله شعب مصر .. فهنا حكام اعتقدوا أنهم أصحاب كل شيء .. وراحوا كاللصوص والخطافين ينهبون ويسرقون ويفعلون كل سيىء وخبيث ؛ أما كل الشعب .. فقد أظلمت الدنيا أمامه ، وهو لايرى من حوله سوى الفقر والمذلة والهوان والضياع ..

وهنا مستعمرون ، كل بضاعتهم أنهم استطاعوا أن يستولوا على بعض النفوس الدنيئة .. ومنحوا أصحابها المال ، والمناصب ، والسلطة، والنفوذ ليستطيعوا أن ينفذوا من خلالهم الى أعماق الشعب ليطفئوا فيه جذوة الحرية ، والنور .. والحياة ..!

وخلال هذا وذاك .. كان على الشعب أن يعيش ، وأن يحتمل ، وأن يصبر ، فى انتظار المنقذ الذى يعطى ولا يأخذ .. والذى يستطيع أن يلغى المبدأ القديم الذى يقول : كل شيء لى .. ولو على حساب الآخرين .. وأن يضع بدله هدفا جديدا يقول : «كل شيء للآخرين .. ولو على حسابى» .

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. حدثت المعجزة ..

وقاد جمال ثورة الملايين .. ثورة الشعب كله .. ثورة الفلاحين والعمال والطلبة والموظفين والتجار .. ثورة كل فرد كانت تظله أرض مصر ..

وكان قيام جمال بالثورة معجزة ‥ معجزة وصفها هو نفسه حين قال :

« لقد قامت الثورة ورتبت في جو من الفساد والرشوة ‥ وفى وقت يصعب أن تقوم فيه ثورة ، فقد كانوا يغرون كل الطوائف بالمال ، وبالرشوة ‥ ولكننا نحن رجال الجيش ‥ كنا نفكر فى الشعب . كنا نقارن دائما بين السير مع الشعب وفقراء الشعب ‥ والسير مع الشرفاء المزعومين ‥ فآثرنا أن نسير مع الشعب فى سبيل أهداف الشعب ‥ لرفع مستوى الشعب »

وقام الجيش بالثورة ‥ وكانت بواعث الثورة فى نفوس رجاله هى البواعث نفسها فى نفوس كل أبناء هذا الشعب ‥ انها ذلك الضيم الذى كان الشعب يشرب كأسه حتى الثمالة صباح مساء على أيدى فئة من الاعداء والدخلاء عليه ‥

إنها ذلك الفقر الاسود الذى اجتاح أغلبية الشعب بغلظة لا ترحم ، لحساب فئة من المترفين لم يتقنوا فى الحياة شيئا كما أتقنوا امتصاص الدماء ‥

انها ذلك الخوف الممقوت الذى سيطر على الناس الى الحد الذى جعلهم يكادون يخشون التحدث حتى الى أنفسهم ، لكيلا تلمحهم من عيون الطغاة عين ، أو تسمعهم من آذانهم اذن !

انها ذلك الضعف أو الاستضعاف الذى طوى الشعب طيا ، وجعله لا يكاد يصدق تاريخه القديم ، ولا يكاد يثق بحاضره ، ولا يكاد يكون له فى مستقبله أمل معروف ‥ !

والحق ، أن كل ذلك ، كان يوحد بين كل القلوب ‥ وكان هو نفسه الذى جعل الرداء العسكرى الذى يرتديه رجال الجيش ليس أكثر من مجرد رداء اختارته الظروف لهم ، كما اختارت للعامل بدلته الزرقاء ، وكما اختارت للفلاح جلبابه الازرق أيضا ‥ وربما كانت هذه الازياء تفرق بينهم ‥ ولكنها تفرقة لا تعدو المظهر ، لا تعدو ذلك الرداء الذى يغطى الاجسام . أما النفوس ، والمشاعر ، والارواح ، والآلام ، والآمال‥ فكلها واحدة ‥ كلها نبتت حين نبت الجميع من هذه الارض الطيبة ‥ وكلها ترعرت حين ترعرع الجميع فوقها ‥ وكلها توحدت حين وحدت بين الجميع مياه النيل الخالد الذى ندين له بالحياة ‥

ومن هنا نجحت ثورة جمال ‥ بل نجحت ثورة كل الشعب ‥

وانطلقت الثورة فى طريقها ‥ وعملاق بنى مر يعمل من أجل تحقيق أمجاد لهذا الشعب ‥ أمجاد كافح من أجلها الشعب سنوات وسنوات لكى يحقق لنفسه الحرية الحقيقية ، والديمقراطية الحقيقية ، والعدالة ‥ العدالة التى خذلوه وحطموه وأذلوه لكى يعجز عن الوصول اليها .

بالعرق ، والدم ، والكفاح .. راح العمـــلاق يحرز لوطنه انتصارا تلو انتصار .. ومفخرة بعد مفخرة .. كل واحدة منها كانت تكفى لجيل من الاجيال ، لكى يفخر بها على مر الزمن وكر السنين ..

وتوالت الامجاد ..

طرد الطاغية ، وقضى على الاقطاع ، وأممت القناة ، وهزمت الدول العظمى ، وقضى على احتكار السـلاح ، وتحققت الوحدة ، وانشىء جيش قوى .. وأصبحت القومية العربية حقيقة واقعة ..

غير أن الطريق الى كل هذه الامجاد كان شاقا طويلا رهيبا .. عامرا بالمتاعب والاشواك والصعاب . وكان من الممكن أن تقف بعض هذه المتاعب والاشواك والصعاب فى وجه أى زعيم فى أى مرحلة من مراحل الجهاد .. ولكن جمال .. كان رجلا غير كل الرجال ، عملاقا غـــير كل العمالقة ، معجزة غير كل المعجزات ..

كان انسانا مؤمنا .. يعرف طريقه

كان مؤمنا بمصريته .. فعمـــــل على أن يكون كل مصرى فخورا بمصريته ، معتزا بها ، حريصا عليها .

وكان مؤمنا بعروبته .. فبذل جهده ليرفع شعار القومية العربية ، ويمد يد العون لشعوب الوطن الكبير فى كفاحها ضد الاستعمار ، وضـد الطغيان ، وضد الفساد ..

وكان مؤمنا بوحدة وطنه .. فجهد ليوحد صفوفه ، فى جبهة متحدة تضم كل الطبقات وكل الناس .. وكل شعوب العرب ..

وكان مؤمنا بالسلام .. فعمل من أجل صداقة الشعوب ، فى آسيا وافريقيا ، ومحبى السلام فى أوربا . ونجحت باندونج ، ونجحت أكرا ، ونجحت بريونى ..

أما قبل ذلك كله .. فقد كان عبد الناصر مؤمنا بربه.. وبوطنه . وبنفسه ..

وبهذا الايمان كله .. ارتفع عبد الناصر .. ارتفـــع السياسى .. الثائر .. الفتى .. المؤمن .. فلاح بنى مر .. ليصبح علما من أعــلام الكفاح الحر فى كل هذا العالم الكبير ..

بهذا الايمان .. حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه . ولبلاده .

والتاريخ الذى يفتح عينيه جيدا ، هــو الذى سيتحدث على الدوام عن معجزات ذلك الايمان ..

***

بهذا الايمان .. حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه .. ولبلاده .

ولعل الإشتراكية العربية التي أرسى قواعدها وأقام دعائمها ووضع فلسفتها جمال عبد الناصر احدى هذه المعجزات .

وكان لابد من أجل أن يحقق عبد الناصر هذه المعجزة أن يقود البلاد في معركة اجتماعية هائلة واسعة النطاق .

وكانت المعركة الاجتماعية هي وحدها احدى المعجزات .

فالمعركة الاجتماعية التى يقودنا فيها عبد الناصر الآن ، هى امتداد لمعاركنا الوطنية ضد الاستعمار .. بل انهما معركة واحدة ذات مرحلتين احداهما مرحلة الكفاح ضد الاستغلال الذى يمارسه المصريون والمتمصرون فى مصر .

والقاعدة التى يسير عليها الاستعمار فى نضاله من أجل البقاء ، هى القاعدة التى يسير عليها نفسها المستغلون الجشعون .. ان الاستغلال مثل الاستعمار ، لا يتخلى عن مسرح التاريخ ولا يفسح مكانه الا تحت ضغط قوة لا يستطيع أن يقهرها .

وتؤدى قيادتنا بزعامة عبد الناصر ، فى معركتنا للتحرر الاجتماعى الدور الذى أدته فى معركتنا للتحرر الوطنى ..

فى الماضى كان زعماء الاحزاب لا يفكرون فى المساس بشبر من الأراضى الواسعة التى يضع الاقطاعيون أيديهم عليها ظلما وعدوانا .

ولم يكن الساسة والحكام يفكرون فى تقليم أظافر الاستغلال الرأسمالى الذى يعتصر دماء شعبنا ويكدس الثروات الهائلة فى أيدي عدد قليل جدا من المغامرين والوارثين .

وكان ذلك طبيعيا تماما ، لان الساسة والزعماء القدماء ، كانوا هم أنفسهم من الاقطاعيين والرأسماليين أو كانوا ممن ترتبط مصالحهم بالاقطاعيين والرأسماليين فضلا عن الاستعماريين .

ولهذا كانت أعلى مراحل الكفاح الاجتماعى التى قادها زعماء الاحزاب تتمثل فى مشروع كمشروع «الحفاة» .. أو «مشروع البر» .. وما الى ذلك من المشروعات الوهمية التى لاهدف لها الا تخدير الشعب وايهامه بأن هناك اصلاحا اجتماعيا ..

وقد نادت القيادات القديمة ، خلال صيحاتها الانتخابية ، بمحاربة الفقر والجهل والمرض .. ولكن ماذا حدث بعد تلك الصيحات .. لقد تفاقمت مشكلات الفقر والجهل والمرض ، واشتدت ضراوة الاقطاع ورأس المال الاحتكارى ، وازدادت قوة التحالف بين الرجعية المحلية وبين الاستعمار العالمى ..

وعندما قامت الثورة فى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وجدت أمامها كل هذه المشكلات التى تخلفت عن الصيحات الانتخابية الجوفاء ، فقامت الثورة بأول عمل صحيح للقضاء على الفقر والجهل والمرض ، ونعنى به قانون الاصلاح الزراعى .

ولقد كان قانون الاصلاح الزراعى هو البداية فقط ، لأنه من غير المعقول أن تقلم الثورة براثن الاقطاع، ثم تترك مخالب رأس المال الاحتكارى ناشبة فى عنق الشعب .

وهكذا صدرت القوانين الاشتراكية فى يوليو سنة ١٩٦١ لتفجر الثروة الاجتماعية ، كما تفجرت الثورة الوطنية من قبل .

ومضى عبد الناصر يقود الشعب فى طريق ثورته الاجتماعية :.. ثورة الاشتراكية العربية المنبثقة من أعماق شعبنا العربى . ليكتب مرحلة جديدة فى تاريخ هذا الشعب .

وأول كلمة فى المرحلة التاريخية الجديدة التى يقودنا الى ساحاتها الكبيرة رائدنا وزعيمنا جمال عبد الناصر ، هى « العروبة » .

ان العروبة هى الكلمة المقترنة بكل شىء يجرى فى حياتنا .. فاشتراكيتنا ليست مجرد اشتراكية .. ان لها صفة لازمة لا تنفصل عنها ، هى أنها اشتراكية عربية .

وباعطاء اشتراكيتنا صفتها العربية ، نستعيد كل ملامح قوميتنا العربية التى حاول المستعمر طويلا أن يجردنا منها ، ان أول شىء يفعله المستعمر عندما يحتل بلدا هو أن يجرد شعبه ، أو يحاول أن يجرده من شخصيته القومية .

وقد فعل الاستعمار كل ما فى وسعه ليجرد شعبنا من قوميته .. وشعبنا الذى نعنيه هنا ، هو شعبنا الكبير فى الوطن العربى لا شعبنا العربى فى مصر فقط .

وقد تحمل الشعب العربى فى مصر نصيبا ضخما من محاولات الاستعمار لتجريد العرب من شخصيتهم ..

فقد قضى الاستعمار العثمانى مثلا أربعمائة سنة يحاول أن يجعل مصر مجرد « ايالة » عثمانية مقطوعة الصلة بماضيها العربى العريق .

وكما فعل الاستعمار العثمانى فى مصر ، فعل فى العراق وسوريا وليبيا والجزيرة العربية وكل بلد عربى احتله العثمانيون .

ولكن التاريخ اكتسح الاستعمار العثمانى ، وألقى به فى سلة مهملاته ، وأتاح للشخصية العربية أن ترفع رأسها ، وتسترد طابعها ، وتنفض عنها غبار القرون الأربعة الطوال التى جرت خلالها محاولات « تتريك » العرب وخاصة المصريين .. أى تحويلهم من عرب الى أتراك !

والذين هبوا أخيرا يحملون على مصر ويشككون فى كفاحها العربى .. وخاصة أولئك المجرمين الذين يرمون مصر بأنها « فرعونية » ويفصلونها بهذا الادعاء الباطل عن كفاحها ذاته .. كفاحها من أجل الحفاظ على شخصيتها العربية فى مواجهة الاحتلال العثمانى ثم الاحتلال الفرنسى .. والاحتلال البريطانى .. وقد استغرقت هذه الفترات الثلاث قرابة خمسمائة عام .

وأخيرا .. جاءت الاشتراكية العربية التى وضع أسسها جمال عبد الناصر فبرهن بدليل رائع لا يمكن دحضه على أن الشخصية العربية، كانت دائما محور كل نضال وطني أو اجتماعي فيمصر .. وأن الشخصية العربية ستظل الى الابد محور كل نضال في مصر في المجالين السياسى والاجتماعى .

وعندما وضع عبد الناصر أساس هذه الاشتراكية الجديدة وصفها منذ أول لحظة بأنها اشتراكية عربية .. فما معنى هذا الوصف ؟

ان معناه بسيط ولكنه عميق .. فأما بساطته ، فمؤداها ان بناء المجتمع العربى الجديد الذي نواجه به متطلبات النصف الثاني من القرن العشرين وما يليه من أجيال .. هذا البناء عربى صميم لا نقلد به بناء يقوم فى بلد أجنبى ..

وأما العمق الذى ينطوى عليه ، فمؤداه أن الشعب العربى لم يشأ أن يسلك طريقا سهلا فيستورد نظاما ويطبقه ، بل أراد أن يكتشف بنفسه القوانين الموضوعة لتطور كيانه القومي والسياسي والاجتماعى ثم يقيم مجتمعا عربيا خالصا ، تظلله العدالة والكفاية فى ضوء هذه القوانين الموضوعة .

ومن هنا بدأ المجتمع الجديد الذى حققه الرائد العربى فى ازالة استغلال الانسان للانسان .. لأن المضمون الاجتماعى للقومية العربية لا يتضمن استغلال عربى لعربى ، ولا يقر استغلال طبقة عربية لطبقة أخرى .. فالمضمون الاجتماعى العربى فى أقصى مداه ، وهو المساواة التامة ، ستفرضها تطورات التاريخ برغم كل الارادات البشرية التى تحاول أن تعرقل هذه التطورات الحتمية .

ولكن بناء الاشتراكية العربية ليس معناه أننا نتنكر للتراث الانسانى الكبير ، فليست العروبة تعصبا قوميا أعمى ، بل هى تعاون مع كل القوميات الاخرى ، والاستفادة من تجاربها الناجحة .. والاضافة الى هذه التجارب الناجحة تجارب عربية لا تقل عنها نجاحا ..

وهناك قاعدة علمية لا ينكرها الآن أحد وهى أن كل الشعوب ستصل الى الاشتراكية . ولكن الوصول الى الاشتراكية سيتم بعدة طرق لا بطريقة واحدة

ان كل شعب سيصل الى الاشتراكية بأصالته القومية وتراثه وبدون أن يفرض عليه أحد طريقا أجنبيا للاشتراكية .

والآن .. ماذا نرى ؟ .. اننا نرى الاشتراكية فى الهند تسلك طريقا غير الطريق الذى سلكته فى الصين ، وتسلك فى الصين غير الطريق الذى تسلكه فى غينيا أو فى غانا ، أو فى كوبا أو فى الاتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية أو فى بعض دول بحر البلطيق كالسويد .

ان الظروف الواقعية الصلبة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند بناء

الاشتراكية .. وهذا ما يمنح التجربة الاشتراكية التى أرساها عبد الناصر اهمية فائقة .. لأنها تعكس شعبنا .. بشخصيته العربية الخالصة ..

وهذا هو بالضبط ما عناه عبـــد الناصر من قوله ان « العروبة » أول كلمة في تجربتنا الاشتراكية ، لأنه لا يمكن فصل هذه الكلمة بأى حال عن تجربتنا الاجتماعية الاشتراكية .. اذ أن اشتراكيتنا هي المضمون الاجتماعى للقومية العربية كما ثبت لنا خلال نضالنا القومى بالذات .

وقد كافح شعبنا فى مصر دهرا طويلا بكل قوة وصلابة ، وقاوم المستعمرين الوافدين عليه من تركيا أو فرنسا أو بريطانيا حتى انتصر عليهم .

وفي خلال كفاحنا ضد الاستعمار البريطانى كانت الأوضـــاع الاجتماعية فى بلادنا قد أخذت شكلا جديدا غير الشكل القديم الذى كانت عليه خلال كفاحنا ضد الاستعمار العثمانى .

لقد ظهرت فى عهد الاحتلال البريطانى زعامات الطبقة الوسطى أو « البورجوازية » كما يسمونها فى أوربا .. وقادت هذه الزعامات أحـزابا مختلفة كانت تنادى بالاستقلال والحرية ولكن هذه الزعامات والأحزاب افلست بالتدريج خلال كفاح سبعين سنة ضد الاستعمار البريطانى .

ولم تنشأ فى مصر قيادة شعبيةتنتمى الى العمال والفلاحين والمثقفين وفئات الشعب الفقيرة الكادحة ... ولهذا حدثت فى النهاية أزمة كبيرة فى النضال الوطنى وركدت الحركة الوطنية ولم يعد ثمة أمل واضــح للخروج من هذه الأزمة الا بانبثاق قيادة جديدة تماما .. قيادة شــعبية تمسك بيديها زمام الحركة الوطنية وتربطها برغبة الشعب فى العدالة الاجتماعية .. وحقه فيها .

وفى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ بزغت هـــذه القيادة المنشودة .. وفجرت الثورة الكبرى ضد الاستبداد الملكى والاقطاع والاستعمار .

واستطاعت القيادة الثورية أن تعكس فى ثورتها كل الشروط الخاصة بالحركات الشعبية الصميمة .. بل كانت هذه القيادة الوطنيــــة سببا مباشرا فى اندفاع تاريخ بلادنا بسرعة أكبر بكثير من السرعة التى كان مفروضا أن يمضى بها فى اتجاه الأمانى الشعبية .

ولهذا السبب أحاطت جماهير الشعب قيادتها الوطنية بكل تأييدها وأصبح عبد الناصر قائدا ورائدا للشعب معبرا عن أمانيه

وامتزج النضال فى سبيل الجلاء والحرية امتزاجا تاما بالكفاح الاجتماعى من أجل العدالة الاجتماعية ورفعت الثورة التى تزعمهـــا رائد الشعب منذ البداية ، شعار « منع ســيطرة رأس المـال على الحكم » . ولم يكن ذلك مجرد شعار بل كان ســياسة صلبة سارت عليها الثورة بكل حزم مع سياستها الحازمة الاخرى ضد الاقطاع .

وهكذا راح عبد الناصر يرسى دعائم معجزة جـديدة الى جانب معجزات أخرى كثيرة ..

وبزعامة جمال عبد الناصر التي اهدتها الاقدار الى شعبنا بعد انتظار طويل ، انتصر شعبنا فى معركته الوطنية ، وطرد المستعمرين من منطقة القناة ، ومن بورسعيد ..

وبزعامة جمال عبد الناصر انتصر شعبنا فى معركته الاجتماعية ، واصبح الشعب سيد نفسه ، وصاحب مصيره وبدأ يبنى مجتمعه الاشتراكى الثورى الجديد على الأسس الصحيحة للاشتراكية النابعة من حاجات شعبنا وظروفه وأهدافه

وقد استطاعت قيادة عبد الناصر أن تحقق لشعبنا انتصاره الاجتماعى ، لأن عبد الناصر رجل من الشعب والى الشعب .. وليس له ادنى مصلحة تربطه بمصالح مستثمرى الشعب من الاقطاعيين وجبابرة رأس المال والاستغلال الاحتكارى

ولأن جمال عبد الناصر رجل من الشعب .. انتصر شعبنا بزعامته ، فى معركته ضد المستعمرين اعداء الشعب أيضا .. وسيظل شعبنا يحرز الانتصارات الكبرى تحت زعامة جمال عبد الناصر ، حتى يملأ صفحات التاريخ ..

المعركة ضد الاستعمار



لم تكن قيادة عبد الناصر .. قيادة محلية فحسب .. بل كانت قيادة عرفت كيف ترسم الطريق لكل شعوب افريقية .. والشعوب الأخرى التى تهدف الى التحرر من نير الاستعمار ...

ومن أجل ذلك حارب الاستعمار تلك القيادة المتحررة حربا شعواء.. بلغت القمة عندما بدأ العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ..

ففى ذلك العام جلت قوات الاحتلال عن بلادنا لأول مرة منذ سنة ١٨٨٢ .. ثم عادت ومعها قوات احتلال جديدة يدفعها عدوان بربرى ، وحقد دموى على القيادة الوطنية التى امسكت بزمام الأمور فى بلادنا بعد أن طال غيابها عن مسرح الحوادث خلال عهد الاحتلال البريطانى الحالك المديد ..

ولكن القيادة الوطنية استطاعت أن تصمد للعدوان الاستعمارى الثلاثى ، ولم تتخل عن مكانها الذى وضعتها فيه أعمق التطورات التاريخية فى حياة شعبنا وحياة الشعوب كلها فى العصر الحديث ..

ومن هنا بالذات نستطيع أن ننظر الى معركة بور سعيد ، على أنها معركة القيادة الوطنية للشعب العربى وقد أجابت الحوادث فيها على هذا السؤال :

ـ هل تبقى القيادة الوطنية على رأس الشعب العربى أو تستسلم للاستعمار وتخلى مكانها لقيادات غير وطنية تنفذ توجيهات المستعمرين والصهيونيين ؟!

أجابت حوادث سنة ١٩٥٦ المدوية على هذا السؤال ، بطريقة فذة فان الشعب هو الذى قال لأعداء قيادته الوطنية : « ستبقى قيادتى الوطنية » ومن أجل هذه الكلمات الثلاث المقدسة حمل الشعب السلاح واستشهد من رجاله ونسائه وأطفاله الكثيرون حتى فرض ارادته ، وخرج من معركته ضد المستعمرين والصهيونيين ، وعلى رأسه قيادته الوطنية التى فتحت له أبواب الجهاد ضد هذه القوى البربرية المعادية لحريته وتقدمه ووحدته ..

ان القيادة الوطنية للشعب العربي هي احدى المسائل العويصة التي طرحها عليه تاريخه الطويل ٠٠ فليس الشعب العربي بضعة ملايين من البشر في رقعة صغيرة من الأرض وانما هو أمة كبيرة تمتد أراضيها في قارتين ، وتطل على جيران كثيرين ، وتتفاعل مع ظروف مختلفة شديدة التعقيد ٠

وقد استطاع شعبنا أن يحل مسألة القيادة الوطنية في ظروف كفاحه الذي امتد مئات السنين ٠٠ وكلما امتد الكفاح أصبح دور القيادة الوطنية حيويا في مصير شعبنا ولم يعد دورها محلياً لان الشعب العربي استيقظ لوحدته ، وتنبه لمجتمعه القومي العادل الذي لابد من بنائه ٠٠

وفي معركة العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ كان شعبنا يعرف جيدا أن العدوان يستهدف تدمير قيادته الوطنية كما يستهدف تدمير حريته واستقلاله ٠ ولم يكن العدوان يستطيع أن ينفذ هدفا الا بتنفيذ الهدف الآخر ٠٠ فان الاستقلال والحرية لا يمكن تدميرهما ما بقيت القيادة الوطنية ممسكة بزمام الأمور ولا يمكن كذلك أن يمس الاستعماريون مركز القيادة الوطنية مادام بلدنا حرا مستقلا ٠ ولهذا خسر الاستعمار معركة الشرق العربي كله عندما خسر معركة بور سعيد ، لأن الشعب العربي خرج من هذه المعركة وقد سجل انتصاره الذي يتضمن بوضوح رائع انتصار قيادته ٠٠ وكانت هذه هي الخيبة الكبرى لأحلام الاستعماريين والصهيونيين كما كانت هي الانطلاقة الكبرى لشعبنا الظافر في ظل قيادته الوطنية الظافرة ٠٠

والواقع أن الاستعمار أذهله أن تظهر في الامة العربية قيادة تعمل في سبيل تحقيق نفس الأهداف التي يحاول الاستعماريون منع الأمة العربية من تحقيقها ٠ فالقيادة الوطنية للأمة العربية الممثلة في الرئيس جمال عبد الناصر قد طردت عملاء الاستعمار عن كراسي الحكم في القاهرة منذ ثماني سنوات ٠ ومنذ ذلك اليوم بدا واضحا أن القيادة الوطنية في الشرق العربي قد ولدت وان أمامها ككل مولود جديد طريقا طويلا للكفاح والنمو وتخطي الحواجز التي تملأ الأرض وهي حواجز عتيقة شرسة غرسها الاستعمار في أرضنا منذ عهود سحيقة فأصبحت لها قوة ثبات هائلة أخافت في الماضي القيادات الوطنية المحلية بل واستطاعت أن تمنع هذه القيادات من كل خطوة أرادت أن تخطوها في الطريق الصحيح ٠

ولكن هذه العقبات التي تعثرت فيها خطوات بلادنا في مراحل كفاحنا السابقة لم تستطع أن تملأ عيون قيادتنا الجديدة بمنظر الغول المخيف ٠٠

ان جمال عبد الناصر بطل قيادتنا الوطنية العربية الجديدة لم يقل كما قال سعد زغلول : « هل عندكم تجريدة ؟ » وكان « سعد » يريد بذلك أن بلادنا لا تملك قوة مسلحة ترد بها كيد الاستعمار ولم يكن تطور كفاحنا حينذاك يسمح لسعد زغلول أن يمد بصره الى أبعد من هذا السؤال ٠٠ كان لا يستطيع الاجابة على هذا السؤال وكان أيضا ككل زعماء تلك المرحلة من كفاحنا يحصر نفسه في الدائرة المحلية الضيقة التي تحدها الاسكندرية شمالا وأسوان جنوبا ٠ ومن البديهي أن الحركة

الوطنية حينذاك كانت تتمنى أن تكون فى يد شعبنا قوة ينتزع بهـا استقلاله ويحميه من العواصف والاطماع ، ولكن القيادة المحليه ـ برغم كل النيات الحسنة ـ لم تستطع أن تضع فى يد شعبنا أية قوة يرفـع بها رأسه فى مواجهة المستعمرين ٠

وفى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظهرت حقائق ضعفنا أمام أعيننا وكانت حقائق مفزعة مخزية أثارت ضمير شعبنا وفجرت فى أعمـاقه ثوريته التى علاها الرماد فى سنوات الاسترخاء السياسى بعد ضـياع الأهداف الوطنية لثورة ١٩ ٠

وعندما تسلم جمال عبد الناصر قيادة شعبنا الوطنية كان مطروحا أمامه السؤال الذى جرى على لسان سعد زغلول قبـل ثلاثين عاما ٠٠ وكان السؤال مازال يقول لكل الوطنيين : هل عندكم تجريدة ؟

ولم تتقاعس هذه القيادة الوطنية عن النهوض بكل مسئوليتهـا للاجابة عن هذا السؤال الصارخ الذى تحطمت على صخرته أحلام شعبنا فى الماضى وتلاعبت عليه أهواء الزعماء المحليين والساسة ومحترفى الحكم.

ولسنا فى حاجة اليوم أن نروى قصة القوة وكيف حصلت عليهـا قيادتنا الوطنية وضعتها فى يد شعبنا ، فقد أصبحت هذه القصة فصلا من تاريخ عصرنا بأكمله وأصبحت القوة حقيقة واقعة من حقائق الحياة التى يعيشها شعبنا الآن فى ظل قيادته الوطنية ٠

وفى معركة بور سعيد الخالدة كان الاستعمار يستهدف القضـاء على هذه القوة بمعنى أنه كان يريد القضاء على القيادة الوطنية التى صنعت هذه القوة كما كان يريد القضاء على مقاومة شعبنا الذى أصبحت فى يده هذه القوة بفضل قيادتنا الوطنية ٠ وهكذا ، فان الاستعمار فى عـدوانه الثلاثى كان يستهدف فى الواقع تدمير كل تطورنا الجديد ويريد ردنا الى العهد الذى كنا فيه نعيش وراء أسواره وداخل حظائره ونتلقى الوحـى والأوامر من عواصمه وممثليه وعملائه ٠

ولكن الحسابات التى وضع الاستعمار أرقامها فى دفاتره قد خابت كلها ، وتخبطت فى الخطأ بعد الخطأ وآل أمرها الى فشل وبوار وخسران مبين ٠

وخرجت القيادة الوطنية ظافرة من المعركة ولم يستطع الاستعمار أن ينال شيئا من القوة التى وضعها بطل القيادة الوطنية جمال عبد الناصر فى يد شعبه ٠٠٠ وكانت هذه هزيمة ماحقة للاستعمار العـالمى كله ، وللصهيونية حليفته ، ونصرا تاريخيا بالغ الروعة ، عميق الأثر ، لشعبنا فى مصر ، وللأمة العربية فى وطنها الكبير ، ولحركة التحـرير الوطنى كلها ، فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وللمناضلين فى سـبيل السلام العالمى فى كل مكان :

وكشفت هذه المعركة أن الاستعمار العـالمى الذى مازال يحتفظ بملامح الأسد وشكله وزئيره ، قد تحول الى أسد من الورق المقوى ، لا حول له ولا طول ، ولا قدرة له على رد التاريخ الى الوراء ٠٠

***

ولكن .. كيف حدثت هذه المعجزة الكبرى من معجزات التاريخ ؟

لقد كانت القيادة الوطنية هى الرائد الذى مكن للشعب انتصاره النهائى على الاستعمار فخرج المستعمرون من بور سعيد ، ولم يدخـل مستعمرون آخرون ..

وكانت هذه حادثة تاريخية كبرى ، تقـع فى بلادنا لأول مرة فى تاريخها منذ عهود سحيقة ..

وقد سجل شعبنا هذه الحادثة التاريخية الكبرى لتكون قـدوة لجميع الشعوب فى العصر الحديث ، عصر انهيار الاستعمار العـالمى ، وانتصار حرية الشعوب ..

انتصار شعبنا فى بور سعيد مرتبط اذن بحالة الانهيار النهائـى للاستعمار العالمى .. لقد أصبح شعبنا ـ وبقية الشعوب ـ أقـوى من الاستعمار ، ولم يعد فى طاقة الاستعمار أن يقهر شعبا كشعبنا ، يملك القوة المعنوية والمادية والقيادة الوطنية المحنكة المتفانية فى خدمة أهداف التحرر الوطنى ..

ومعنى ذلك أن انتصار بور سعيد لم يكن ممكنا أن يتحقق ، لمجرد حالة الانهيار التى يعانيها الاستعمار .. وانه كان لابد لتحقيق ذلك النصر من وجود قيادة وطنية مخلصة ذكية ..

ان الاستعمار مهما عانى من الانهيار المـادى والمعنوى لا يمكن أن يتخلى عن مواقعه طوعا واختيـارا ، لأن طبيعته المستغلة الجشعة تجعله يتشبث بالأرض التى يحتلها حتى تطرده منه عوامل عميقة تتضافر على انتزاعه انتزاعا .

ولولا أن مصر كانت فى سنة ١٩٥٦ تحت قيادة وطنية ، لما استطاع شعبنا أن يكتل جهوده للظفر فى معركة بور سعيد ..

بل ان قيادتنا الوطنية هى التى خلقت بكفاحها الموقف الذى وجد الاستعمار معه أن مصالحه الخبيثة مهددة بالاقتلاع من مصر ..

فقيادتنا الوطنية هى التى حاربت الاحلاف الاستعمارية فى الشرق العربى والشرق الأوسط بوجه عام ، حتى أصبح حلف بغداد مجرد ورقة وقعها حكام خونة ولم تجد لها سندا من الشعوب ..

وقيادتنا الوطنية هى التى رفضت الصلح مـع اسرائيل ، فقلبت بذلك خطط الصهيونية والاستعمار فى الشرق الأوسط رأسا على عقب.. ثم خطت قيادتنا الوطنية خطوة كبرى عندما كسرت احتكار السـلاح ، واستطاعت بذلك انشاء جيش وطنى قوى يصمد فى وجه المستعمرين..

وقيادتنا الوطنية هى التى أممت شركة قناة السويس ، فضربت مصالح الاستعمار ضربة قاصمة ، جعلته يقتنع تماما بأنه لا سبيل الى التفاهم مع مصر الا بقوة السلاح ..

وهكذا فان خطوات التحرر الوطنى التى رسمتها القيادة الوطنيـة للشعب العربى فى مصر ، اصطدمت مباشرة مع مصالح الاستعمار ، فكان العدوان الثلاثى الفاشل المشهور ..

ولو بقيت مصر تحت القيادة القديمة التى كانت قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.٠٠ لاستمر الاستعمار ـ برغم ضعفه وانهياره ـ يمارس استغلاله للشعب المصرى ، ويحتل بقواته أرض مصر ٠٠

وقد كان اضطرار الاستعمار الى العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ دليلا قاطعا على أن القيادة الجديدة التى انبثقت فى القاهرة ، مختلفة عن القيادة القديمة اختلافا جذريا ٠٠

فالقيادة القديمة ، كانت مؤلفة من القصر الملكى ورجال السياسة الحزبية والرأسماليين والاقطاعيين ٠٠

وكانت مصالح هذه القيادة الرجعية الاقطاعية الرأسمالية ـ بزعامة الملك ـ ترتبط تماما بمصالح الاستعمار العالمى ٠ وكانت كل ضربة توجه الى الاستعمار ، فى الواقع ضربة توجه الى القيادة الرجعية الخائنة المتحالفة مع الاستعمار ٠

ومن البديهى أن استمرار هذه القيادة المؤلفة من رجال الطبقات الرجعية والاحزاب المضللة ، فى حكم بلادنا ، كان تأمينا للمواقع الاستعمارية التى يهددها الانهيار

وبفضل التحالف الوثيق بين القوى الاستعمارية العالمية ، والقوى الرجعية المحلية ، كان الاستعمار يحافظ على مواطىء أقدامه فى بلادنا ، وينعم باستغلال شعبنا وامتصاص ثرواته ٠٠

ولم يكن معقولا لو استمرت هذه الاوضاع ، أن تنشب معركة فى بور سعيد أو فى غير بور سعيد من مدننا ، بين شعبنا وبين القوات الاستعمارية المعتدية ٠٠

غير أن هذه الأوضاع لم تستمر ، واستطاع جمال عبد الناصر ٠ القائد الجديد للشعب ٠، أن يضرب مصالح الاستعمار باستمرار ، حتى وجد الاستعمار أنه لا سبيل الى التخلص من قيادة عبد الناصر ، واعادة القيادة القديمة الا بالعدوان المسلح !

والاستعمار يعميه جشعه عن رؤية الحقائق ، برغم ما هو معروف من طول تجارب رجال الاستعمار ودهائهم ٠٠ ولهذا فان الاستعمار تصور أنه من الممكن عزل القيادة الجديدة ، كما كان فى الماضى يعزل من يشاء من رجال القيادة الاقطاعية الرأسمالية الرجعية ٠٠

لقد كان السفير البريطانى يعزل رؤساء الوزارات ، فخيل الى البريطانيين أنهم يقدرون ـ فى سنة ١٩٥٦ ـ على عزل الوزراء المصريين، واقامة حكومة جديدة بدلا من حكومة عبد الناصر

وكان هذا منتهى المبالغة فى الخيال من جانب الاستعماريين ، لأنهم لم يدركوا الفارق الأساسى بين القيادة الرجعية القديمة التى لم يكن لها أى ارتباط بالشعب ، وبين القيادة الجديدة التى تستمد وجودها نفسه من الشعب ٠

وعندما وقع العدوان الثلاثي ، ونزل المعتدون في بور سعيد بدءوا يتصرفون بوحي من هذا الاعتقاد الخاطيء الذي ملأ صدورهم ، فخيل اليهم أن الشعب سينفض من حول قائده ٠٠ ولـــكن الشعب قابل المعتدين بالحديد والنار ، وبذل دماءه بسخاء دفاعا عن أرضه ، وعن قيادته الوطنية

ولم ينس أحد بعد معارك الفدائيين في بور سعيد خلال الاحتلال البريطاني الفرنسي ، ضد جنود الاحتلال ، بسبب اصرار الفدائيين على لصق صورة جمال عبد الناصر على جدران بور سعيد ، واصرار المعتدين على نزع الصورة ٠٠ فكان المعتدون ينزعونها ، وبعد ساعات يجـــدون جدران بور سعيد مغطاة بمئات من صور عبد الناصر ٠٠

ان هذه الحوادث كانت لها دلالتها العميقة ٠٠ لقد برهنت على أن الشعب متعلق بقيادته ، مستعد للتضحية في سبيل تمكينها من أداء مهمتها التاريخية النبيلة ٠٠

وقد برهنت التطورات التي حدثت بعد معركة بور سعيد على أن القيادة المصرية العربية الجديدة ممثلة في الرئيس جمال عبد الناصر ، كانت فيمستوى مهمتها التاريخية ٠٠ وقد أدتها بأمانة وكفاية واخلاص، بعد انتصار بور سعيد في سنة ١٩٥٦ كما أدتها من قبل منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠٠

***

لقد كان الخط البارز في انتصارنا على الاستعمار سنة ١٩٥٦ ، يتمثل في التغير الاساسي الذي طرأ على كفاح الشعب المصري بفضـل قيادته الجديدة التي أهدتها اليه ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر

وليس صحيحا بحال من الأحوال أن حالة الاستعمار الراهنة ٠٠ حالة التفكك والانهيار التي يعانيها في كل مكان في العالم ، كفيلة وحدها بخروجه من المستعمرات وأشباه المستعمرات التي يحتلها ٠٠

ان الذي يرغم الاستعمار على الخروج من مواطيء اقدامه ، هـــو الكفاح الوطني الصحيح تحت قيادة لا ترتبط مصالحها أو بعض مصالحها، بالاستعمار ووجوده في بلادها ٠

وجمال عبد الناصر هو القائد الوطني الذي اكتمل فيه هذا الشرط٠ انه القائد الذي لا تربطه بالاســـتعمار أية مصلحة ٠٠ وبالعكس ٠٠ ان جميع المصالح التي يعمل من أجلها عبد الناصر تصطدم مباشرة بمصالـح الاستعمار العالمي ٠٠

ولم تكن هزيمة الاستعمار البريطاني والفرنسي ـ ومعهما اسرائيل ـ مهمة سهلة ٠٠ بل كانت مهمة معقدة تحتاج الى جهود الجبابرة ٠٠ بالرغم من اعترافنا بان الاستعمار لم يعد قويا كما كان ، ولم يعد سهلا عليه أن يتغلب على الشعوب ، كما كان يفعل في الماضي ٠

ولكن قهر الاستعمار ، ليس نزهة ، ولو كانهو الاستعمار البرتغالي الشائخ الذي يكاد يلفظ انفاسه ٠٠ فهانحن قد رأينا بأعيننا أن نهرو ـ

رجل السلام العالمي ـ قد اضطر الى آن يحرر جزءا من بلاده بحد السلاح، بالرغم من أن الهند كلها ظفرت بالاستقلال عن طريق المفاوضة ..

ان معركة جوا الصغيرة في الهند التي خاضها الاستعمار البرتغالي ضد الشعب الهندي ، لهي الدليل الذي لا يدحض على أن الاستعمار العالمي لا يفكر اطلاقا في أن يتخلى عن شبر من الارض التي يستعمرها طائعا مختارا ..

وهذا التصميم الاستعماري الدنيء ، هو الذي واجهه عبد الناصر في سنة ١٩٥٦ وقهره ، وانتزع منه انتصار بور سعيد العظيم !!

وقد أطلقت معركة بور سعيد كل امكانيات القيادة الوطنية في بلادنا ، ولهذا كان التطور الطبيعي التالي للمعركة هو قيام الوحدة بين سورية ومصر وظهور أول دولة كبيرة للعرب بعد انهيار آخر دولة لهم تحت سنابك خيل العثمانيين في معركة مرج دابق سنة ١٥١٧ ..

وهذه الدولة الكبرى ـ ودعك من النكسة الانفصالية الحالية ـ ليست مجرد دولة مترامية الاطراف غنية بمواردها الطبيعية وامكانياتها البشرية ، وانما هي قاعدة للعرب جميعا .. هي ـ كما قال الرئيس جمال عبد الناصر « طليعة للكفاح العربي وقاعدته » ..

وقد كان من البديهي بعد ظهور القيادة الوطنية للعرب أن تكون الدولة التي قامت على يد هذه القيادة ، طليعة لكفاح الامة العربية وقاعدة له .. لأن هذه القيادة بالذات هي طليعة الكفاح العربي الذي وجد في هذه المرة طريقه الصحيح ، وأصبح الاستعمار عاجزا عن قهره واخضاعه كما فعل في الماضي بانتفاضات الأمة العربية المتفرقة ..

من أجل ذلك أعلنت الجمهورية العربية المتحدة انها تضع كل امكانياتها لتحرير الجزائر الشقيقة .. لأن تحرر الجزائر ليس عبئا على أبنائها وحدهم ، الذين واجهوا أعتى القوى في العالم وقاتلوا كتلة من الدول الاستعمارية .. حتى تم لهم النصر .

وفي سبيل تحرير الجزائر دخلت الدولة العربية وقيادتها الوطنية في معركة ضد القوى التي تحارب الجزائريين .. ضد فرنسا التي رفعت طوال ١٣٢ عاما رأيتها فوق جزء كبير من أرض الجزائر .. وضد دول حلف الاطلنطي التي كانت تمد فرنسا بالمال والرجال والاسلحة وتساعدها على ازهاق الارواح وتشريد الاطفال والنساء ..

وحين دخلت القيادة الوطنية في بلادنا معركة الجزائر بكل الامكانيات اللازمة لاحراز النصر ، لم تكن ترى هذا عملا ثانويا ، ولا تخطيا لالتزاماتها ، لأن هذا العمل هو من صميم واجبات القيادة الوطنية للشعب العربي الذي لا يرى أى فارق بين أرض الجزائر وأرض مسقط

وعمان وجنوب اليمن وفلسطين وأية أرض عربية أخرى يقوم فيها صراع ضد الاستعمار والصهيونية ..

ومن هنا كانت بورسعيد هي نقطة الانطلاقة الكبرى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى تمثلت فيه القيادة الوطنية للامة العربية ..

وقد كانت معركة بور سعيد أشـــبه بنار برهنت على ان هـــذه القيادة عرق من الذهب الخالص لا تزيده النار الا لمعانا وبريقا .. ففى هذه المعركة .. معركة الحياة أو الموت ، بدا بشكل مثالى مدى تمســك القائد الوطنى جمال عبد الناصر بمبادىء الأمة التىيقودها .. وفى أحلك ساعات المعركة ، ظل قابضا على حرفية هذه المبادىء ، فلم يخطر له مثلا ، وقد هاجمته دولتان من الكتلة الغربية ، أن ينحاز الى الكتلة الاخرى . لأنه كان يقاتل فى سبيل تثبيت مبادئه التى لا يحيد عنها ..

وهذا هو الجوهر الاصيل للقيادة الوطنية العربية كما يمثلها جمال عبد الناصر .. جوهر الأمة العربية التى تستمد من ذاتها أسباب قوتها ، وتأخذ من قوميتها أسلوب تطورها وتجددها ، وتمد للعالم كفيها بالسلام والصـــــداقة فى الوقت الذى تحرص فيه على اســـتقلالها وشخصيتها وتقاليدها وتراثها الجليل .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذى يتمثل فى جمال عبــد الناصر ، هو الذى جذب ولاء الشعب للقيادة ، وأعطى الأمة كلها الروح المعنوية التى قاتلت بها فى معركة العدوان الثلاثى ، وأثار فى شـــعب بور سعيد أعمق تقاليد البسالة والفروسية التى قاتل بها أبناء الساحل المصرى قـــوات المغيرين على مدى الدهور من الصليبيين بقيادة لويس التاسع الى الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين الذين جاءوا ببوارجهم من قبرص فى سنة ١٩٥٦ .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذى يتمثل فى جمال عبــد الناصر هو الذى أعطى الأمة العربية انتصاراتها الحديثة .. فبعثقوميتها وبنى أول دولة موحدة لهـــا تحولت الى طليعة وقاعدة للتحرر والوحدة ، وجعل زعامة الامة العربية فى شخص جمال عبد الناصر ذات أثر ضخم فى توجيه الاحداث فى العالم كله ، ووحيا ثوريا يستمد منه الالهـــــام كل الاحرار والثوريون فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

ان التقاء الثورة العربية بثــورة الكونغو أو ثورة كوبا أو ثورة أى بلد يحارب الاستعمار ، ليس طموحا غـــير مشروع للعرب كمـــا يزعم الاستعماريون وعملاؤهم وانما هو التقاء طبيعى بين التيارات التى تتحكم فى عصرنا وتوجه سيره الحتمى نحو القضاء على الاستعمار واقرار السلام العالمى والنهوض بحياة الشعوب التى منعها الاستعمار طويلا من التطور المستقل وبناء حياتها الاجتماعية .

وكفاح القيادة العربية متمثلة فى جمال عبد الناصر من أجل السلام العالمى ، ليس خروجا منها الى ما وراء الحدود ولا اقتحاما للحرب الباردة

واشتباكا مع الدول الكبرى ، وانما هو جــــزء من رسالة الامة العربية تؤديه قيادتها الوطنية الواعية على أكمـــل وجه هو أدعى الى الفــخر والاعتزاز ٠

وكفاح القيادة العربية متمثلة فى جمال عبد الناصر ضد عمـــلاء الاستعمار فى الشرق العربى ، وضد المنحرفين عن روح القومية العربية من الداعين الى التجزئة أو التبعية أو الانعزال ٠٠ هذا الكفاح أيضـــا واجب من واجبات القيادة الوطنية العربية يؤديه جمال عبد الناصر دائما بغير كلل ، وقد كان هذا الكفاح سببا فى تساقط عملاء الاستعمار واحدا بعد واحد فى البلدان العربية ، وما زال هذا الكفاح قادرا على اعطاء عملاء الاستعمار الدروس التى هم فى حاجة اليها ٠٠


شخصية البطل
وميثاق الشعب
الميثاق

ان شخصية البطل الذى لا يتكرر فى تاريخ الامة ، الا مرة فى كل بضع مئات من السنين ، هى الشخصية التى اتفق المنصفون جميعا ممن كتبوا عن الرئيس عبد الناصر خارج بلادنا على أنها الشخصية الخاصة به

ومن هنا كانت بطولة عبد الناصر هى بطولة القـــائد الرائد التى حولت مجرى التاريخ وكتبت صفحات جديدة فى التاريخ ، واعطت لكفاح الشعب مفهوما شعبيا صحيحا لأول مرة فى تاريخ كفاح شعبنا ضـــد الاستعمار والاقطاع والآفات السياسية والاجتماعية الكثـيرة التى نخرت فى حياتنا أمدا طويلا •

وشخصية البطل هى التى صنعت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ثم صنعت من هذه الثورة حادثا تاريخيا هائلا تخطت آثاره حدود وطنه الى المنطقة الكبرى التى تحيط بهذا الوطن •

وفى خلال عشر سنوات من الكفاح الرائـــع المتواصـــل ، قادت شخصية البطل هذه الثورة من نصر الى نصر •• بدأت بتصفية الاحتلال الاقتصادى المتمثل فى الاحتكارات الاستعمارية التى كانت شركة قنـــاة السويس على رأسها • ثم جاء دور البناء الاجتماعى •• بناء الاشتراكية •

وفى خلال هذه المعارك كلها كانت شخصية البطل ـ جمال عبـــد الناصر ـ تقف وسط ظلمات المعركة وبرقها ورعدها ، كمنار هاد يبعث اضواءه فى كل الاتجاهات ، وترنو اليه جميع الابصار لتستمد منه الأمل والشجاعة وتهتدى الى الطريق الصحيح ••

ان شخصية عبد الناصر هى شخصية بطل الاستقلال •• ولكن عبد الناصر ليس مجرد بطل للاستقلال ، لأن دوره لم ينته عقب حصول بلاده على الاستقلال ، ولم يكن ممكنا لدوره أن ينتهى عندئذ ، لأنه كان أيضا بطل تحرر اقتصادى ••

وعندما تم التحرر الاقتصادى لبلادنا واختفت الاحتكارات الاجنبية التى كانت تربض فـــوق أرضنا •• أخذت شخصية الزعيم الرائد على عاتقها قيادة الثورة الاجتماعية •• وهى أصعب مراحل الثـــورة الكبرى التى بدأت منذ عشر سنوات ••

ان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية لم تكن مجرد قوانين صدرت ليقوم الجهاز الادارى بتنفيذها ‥ بل كانت فى الحقيقة صيحة الثورة الاجتماعية ، حيث انطلقت صيحة الثورة الأولى فى فجر ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات ‥

وبانطلاق صيحة الاشتراكية فى بلادنا ، أصبح النضال الشعبى العربى يدور على ثلاثة محاور ضخمة : الحرية ‥ الاشتراكية · الوحدة·

ان تجربة الوحدة بين مصر وسوريا أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان النضال الشعبى العربى الذى يستهدف الوحدة كهدف أصيل ، لايمكن أن يبلغ الهدف المنشود بالنضال حول محور « الوحدة » فقط ‥ فبدون « الحرية » ‥ لا يمكن الوصول الى الوحدة · وبدون « الاشتراكية » لا يمكن الوصول الى الحرية !!

وهكذا يبدأ طريقنا نحو الوحدة بالحرية والاشتراكية ‥ ولايوجد طريق آخر يؤدى الى الوحدة العربية ·

ومن النضال فى سبيل الاشتراكية ، انبثق مشروع الميثاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر لممثلى الشعب ، فى المؤتمر الوطنى الكبير ‥

لقد أثبت النضال فى سبيل الاشتراكية ضرورة معرفة أعدائها من أصدقائها ‥

وأثبت هذا النضال ان أعداء الاشتراكية من الرجعيين والاحتكاريين وعملاء الاستعمار لا يمكن أن يهادنوها ‥ ولهذا يجب الا يهادنهم الاشتراكيون ‥ ان الهدنة مع الرجعية ، هى فتح لأبواب الحصون المنيعة فى وجهها ‥ وفتح أبواب الحصون ، كثيرا ما يعنى تسليم ما فى داخل الحصون ‥

ولكن الكفاح الاشتراكى بقيادة جمال عبد الناصر لا يخطر بباله ان يسلم مفاتيح حصونه للرجعية · انه ـ بالعكس من ذلك ـ يزيد حصونه مناعة ، ويجمع صفوفه صفا الى صف ، ويرتق الخروق التى أصابت جدران الحصون خلال المعارك الطويلة ‥

وبدلا من أن تقف الثورة أو تتقهقر ، فانها تتقدم وتقذف بأعدائها بعيدا ‥ وبدلا من أن تتراجع عن الزحف الاشتراكى ، فانها تندفع كل يوم فى هذا الزحف ، ويشتد اندفاعها الثورى حماسة وقوة ‥

وفى كل خطوة من خطوات المعارك التى لا تنتهى ، تجد الثورة رائدها الذى التقت به دائما ، وستظل تلتقى به على مدى الايام ‥

وفى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان موعد التفجير الثورى ، واستطاع الشعب المصرى ـ كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى ميثاق العمل الوطنى ـ « أن يعيد اكتشاف نفسه ، وأن يفتح بصره على امكانيات هائلة كامنة فيه ‥ ان هذه الامكانيات الهائلة حققت تجربة جديدة فى تاريخ الثورات » ‥

والمؤكد ان الشعب المصرى قد أعاد اكتشاف نفسه فعلا فى ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات ، ولكنه اكتشف فى الوقت نفسه قائد كفاحه ورائده الشعبى الذى كان النضال يفتقر اليه لكى يصل الى النجاح ، بعد التعثر الطويل وراء قيادات لم تكن فى مستوى مواقف النضال ..

وقد سار الشعب المصرى باطمئنان تام مع رائده الذى التقى به فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى هدى عشر سنوات خاض الشعب مع رائده ثورته الشاملة التى بدأت بالقضاء على الاستعمار واستمرت فى طريقها للقضاء على كل قيد ترسف فيه أيدى الجماهير العاملة .

ولم تكن شخصية الرائد التى قادت جماهير شعبنا ، قوة خفية من قوى ماوراء الطبيعة ، ولا كانت تفرض على الجماهير نوعا من تقديس الفرد والانصياع لمشيئته بدون وعى .

ان شخصية عبد الناصر هى شخصية شعبية صميمة، نابعة من قلب الشعب نفسه ، ويلمح فيها البطولة الفلاحون والعمال والناس العاديون الذين يعملون فى شجاعة وصمت وتفان واصرار على بلوغ الهدف مهما تكن التضحيات ..

ولان شخصية الرائد الذى قاد شعبنا هى من قلب شعبنا ، وليس لها من هدف الا الهدف الذى تتجه اليه أنظار شعبنا ، فان هذه الشخصية ظلت طوال السنين ملتصقة بشعبنا تسمع نبض قلبه ، وتطالع أفكاره وتعبر عن ارادته أدق تعبير ، وترفع أهدافه كشعارات للنضال :

وهكذا أصبح جمال عبد الناصر ، بشخصيته الفذة هذه ، ممثلا حقيقيا لشخصية الشعب المصرى ، ولم يعد ممكنا وضع خط دقيق بين شخصية القائد وشخصية الشعب ، لان القائد والشعب كتلة واحدة من الارادة والعزم والاصرار .

وفى فجر ٢٣ يوليو ، عندما اكتشف الشعب شخصية القائد ، لم يكن القائد يمسك بيديه كتابا يحوى نظرية متكاملة عن الثورة والمجتمع ومع ذلك سار الشعب وراء القائد بلا تردد .. كيف حدث ذلك ؟

ان القائد نفسه يفسر هذه الظاهرة النادرة فى تاريخ الثورات فيقول فى ميثاق العمل الوطنى : «ان قوة الارادة الثورية لدى الشعب المصرى تظهر فى ابعادها الحقيقية الهائلة اذا ماذكرنا أن هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشكلات المعركة كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى» .

وكما حمل الشعب الاعجاب الشديد لقائده ، فا ن القائد نفسه كان دائما يحمل الاعجاب الشديد للشعب الذى يقوده .

ويعترف قائد الشعب فى تواضع بأن «الشعب المعلم» هو الذى استطاع تطوير مبادىء الثورة الستة المشهورة وجعل منها نظرية سياسية متكاملة .

ولماذا فعل الشعب ذلك ؟

لانه أدرك للوهلة الاولى أن الثورة هي ثورته ، ومبادئها الستة هي مصابيح الطريق التي وضعتها قيادة الثورة وهي تخطو أولى خطواتها ٠٠ ولأن قائد الثورة هو رائد الشعب ٠٠ هو ابن الشعب ٠

ولم يكن ممكنا أن يشترك الشعب في تطوير المبادىء الستة لو لم تكن الثورة ثورة شعبية حقا ، ولو لم يكن قائدها هو رائد الشعب حقا ٠

ان الثورات تفرض آراءها على المجموع ٠٠ بالنار والحديد والدم ٠٠ ولكن الثورة التي قادها رائد شعبنا ، لم تكن ثورة نار وحديد بل كانت ثورة بيضاء تكره الدماء وان كانت لاتضن بدمائها لحماية أهدافهـــا من أعدائها والمتربصين بها ٠

ويصف الرئيس جمال عبد الناصر الطريقةالتي استطاع بها الشعب تطوير المبادىء الستة ، فيقول في الميثاق : «ان هذا الشعب المعلم راح اولا يطور المبادىء الستة ويحركها بالتجربة والممارسة وبالتفاعل الحي مع التاريخ القومي ، تاثرا به وتأثيرا فيه ، نحو برنامج تفصيلي يفتـــح طريق الثورة الى أهدافها الافتتاحية ٠٠ ثم ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلقن طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى ويربطها دائما بهذه الآمال ٠ ٠ ويوسع دائرتها بأن يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة في صنع مستقبله » ٠

وهكذا التقت ارادة الشعب الثورية مع ارادة رائــده العظيم الذى انبثق من صميم صفوفه ٠ ولم تعد هناك قوة في العالم تستطيع أن تحفر هوة بين الرائد والشعب العظيم الذى أنجب الرائد العظيم ٠

وكان التقاء الارادتين العظيمتين في عمل واحد ، كافيا لان يغير وجه الوطن كله ٠

ولقد بدأ وجه الوطن يتغير بالفعل ٠ أن ملامح مصر تتغير باستمرار وبدلا من تجاعيد أربعة آلاف سنة فوق وجهها العريق ، تظهر الآن نضارة الشباب ، وتتلألأ دماء الصحة والعافية ٠

ولم يكن بد بعد أن شملت التغييرات كل شيء في حياة شعبنا ٠٠ وخاض تجارب كبرى خلال السنوات العشر الثورية من أن يقف وقفـــة عند المعجزات الهائلة التي فرغ منها ، والمعجزات الهائلة التي يتأهب للعمل فيها والفراغ منها خلال سباق عنيد مع الزمن، وفي ظل المبادىء الاشتراكية العربية التي انطلقت في وطننا مع قوانين يوليو الاشتراكية ٠

وقد أتاح المؤتمر الوطني للقوى الشعبية وقفة تاريخية لشعبنا أطل منها على أعماله الكبيرة خلال السنوات العشر التي سار فيها مع جمـــال عبد الناصر ٠٠ وخلال السنين القادمة المديدة من قيادته الظافرة ٠

ان الميثاق بأبوابه العشرة يتضمن الخطوط العريضة للطريق الثوري الذى يسير فيه شعبنا العربي الى الحرية والاشتراكية والوحدة الكبرى بين أجزاء الوطن العربي من المحيط الى الخليج ٠

ويتضمن الميثاق كذلك الخطوط العامة للتحالف بين القوى الشعبية

العاملة ، من العمال والفلاحين والوطنيين من العناصر الاخرى ٠٠ من أجل اقامة الاشتراكية العربية وحمايتها من التسلل الرجعى المخرب ٠

وهذه الخطوط كلها ليست حواجز جامدة لايمكن تخطيطها ٠٠ انها خطوط عريضة وعميقة حقا ، ولكنها ليست اغلالا فى الأرجل تمنعها من السير الحر طبقا للظروف التى يخلقها العمل نفسه ٠

وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك فى الميثـــاق الوطنى بقوله يصف ارادة الشعب بأنها « ارادة تغيير ثورى ، ترفض أى قيد أو حد الا حقوق الجماهير ومطالبها » ٠

ومعنى هذا ان الميثاق الوطنى سيكون دليلا هاديا فى بناء أجهزتنا التى ستجعل من الاشتراكية حقيقة باذخة فى بلادنا ٠

وفى الميثاق يرتسم الفكر الاشتراكى العربى الحر ، المفترح - على حد تعبير الميثاق - لكل التجارب الانسانيه ٠

والميثاق ، فى جوهره ، هو اعلان لثورة عربية متجددة ، خـــلاقة لاتخمد ٠٠ ثورة للحرية والاشتراكية والوحدة ٠

ويفرض عليها طريقها الطويل أن تكون ثورة دائمة ، أو متجددةعلى الأقل ٠٠ لأن الثورة هى « الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بهـــا الأمة العربية أن تخلص نفسها من الاغـــلال التى كبلتها ومن الرواسب التى أثقلت كاهلها » ٠

وثورتنا تدرك جيدا أن أسلوب المصالحة مع الاستعمار لم يعد هو طريق الحرية بدليل انتصارنا فى حرب مسلحة ضد الاستعمار العالمى سنة ١٩٥٦

ومن ناحية أخرى تدرك ثورتنا أن بناءها الاشتراكى - كما جاء فى الميثاق - «لم يعد حتما عليه أن يلتزم التزاما حرفيا قوانين جرتصياغتها فى القرن التاسع عشر » ٠

وهكذا يرسم الميثاق الذى أعلنه عبد الناصر خطين لنضال الثورة المصرية العربية :

- فى النضال من أجل التحرر ٠ لا مصالحة مع الاستعمار وعملائه الرجعيين ٠
- فى النضال من أجل الاشتراكية ، لا التزام بمناهـــج أجنبية للعمل الاشتراكى ، مع مراعاة ما أشار اليه الميثاق من الفـــكر المفتوح لكل التجارب الانسانية ٠

أما الخط الثالث لنضال الثورة العربية ، وهو «الوحدة» ٠٠ فان الميثاق يقول عنه: «والامر كذلك فى تجربة الوحدة٠٠ فان النماذج السابقة لها فى القرن التاســــع عشر ، وأبرزها تجربة الوحدة الألمانية وتجربة الوحدة الايطالية ، لم تعد تقبل التكرار ، وان اشتراط الدعوة السلمية

واشتراط الاجماع الشعبي ليسا مجرد تمسك بأسلوب مثالي في العمل الوطني ، وانما هو فوق ذلك ، ومعه ضرورة لازمة للحفاظ على الوحدة الوطنية للشعوب العربية » .

وهكذا يرسم الميثاق للوحدة العربية بين الشعوب العربية طريقها العربي الذي لا يقلد الطرق التي سارت فيها شعوب أخرى من قبل ، فكانت طرقا مصبوغة بدماء القتلى وجثثهم .. وعلى جوانبها دارت معارك اشتركت فيها الجيوش لتفرض الوحدة فرضا .

ان طريق الدماء .. ليس طريقنا الى الوحدة .. هكذا يؤكد الميثاق

على أن الميثاق الذي قدمه البطل عبد الناصر للشعب العربي . استطاع أن يتضمن الى جانب كل ذلك أشياء جديدة كثيرة تعتبر ثقافة جديدة لعهد جديد .

ولعله لا بد من وقفة تلقى الاضواء على ذلك الميثاق الذي قدمه عبد الناصر للشعب العربي .

فالثقافة الجديدة التي قدمها الميثاق هي أبرز نقاطه .. بل هي المحور الرئيسي الذي ستدور حوله حياتنا .. أي حياة الشعب خلال سنى الكفاح القادمة .

فالثقافة انعكاس للأوضاع الطبيعية .. ولقد ظلت ثقافتنا خلال عشرات السنين الماضية انعكاسا لوجود الاستعمار في بلادنا وانعكاسا لسيطرة الاستعمار والاقطاع .

لقد ظل الشعب المصري يكافح سنين طويلة في سبيل اقامة مجتمع جديد .. ولكن الاستعمار والاقطاع كانا يضربان بعنف كل محاولة تهدف الى بث الثقافة التي تؤدى الى هذا التغير والتحول .

وأقام الاستعمار والاقطاع حولنا سورا ضخما ليحجب عنه ثقافات العالم حتى نظل عميانا عن التطور الذي يهز العالم .. ثم فرض علينا ثقافته .. فظلت الجماهير الغفيرة جاهلة متأخرة عن التطور الذي يهز العالم .. كما ظلت فئات المثقفين محصورة بين سطور الكلمات التي تدعم حكم الاستعمار والاقطاع .

واليوم بعد أن تخلصنا من الاستعمار والاقطاع في مصر وتغير الوجه الاقتصادي ، كما تغير البناء الاجتماعي ، كان لا بد أن تكون لنا ثقافة جديدة تعبر عن هذه الاوضاع الجديدة .. وجاء الميثاق انعكاسا للنظام السياسي وانعكاسا للأوضاع الاقتصادية الجديدة التي حدثت خلال السنوات العشر الماضية ، والتي توجت بصدور قوانين يوليو ١٩٦١ .. ثم مهد الميثاق في الوقت نفسه لخلق ثقافة جديدة تتلاءم مع أوضاعنا الجديدة .. وعندما تستكمل هذه الثقافة مقوماتها ، سنجدها من ثم تؤثر في أوضاعنا

لقد كشف الميثاق لنا لأول مرة عن معاني الصراع الطبقي ، كمافسر

لنا تاريخنا على أساس علمي ٠٠ وتحدث عن حتمية الحل الاشتراكي ٠٠ ثم مشكلات السلام والحياد الايجابي ٠٠ ثم ربط الميثاق بين هذا كله وبين تطور الشعب ٠

ولهذا فالميثاق فتح جديد لثقافة جـــديدة ، تقوم مقام الثقـــافة الاستعمارية الاقطاعية التى انهارت بانهيار النظام الذى كان سائدا قبل يوليو٥٢ ٠

وهذا مايوضح لنا ماقصده الرئيس في قوله عن أزمة المثقفين التى أثيرت كثيرا من قبل انها أزمة طبقية وليست أزمة ثقافة ٠

وليس معنى ذلك أن هذه الثقافة منعزلةعن التراث الانسانى الضخم بل هي امتداد وتطوير له ٠٠ ولكنها تنبذ كل المعانى التى حاولت العناصر الرجعية أن تلصقها بالانسان لتعوق تطوره عن تحقيق أمانيه ٠

فما الفلسفة ؟٠٠

ليست الفلسفة كما حاولت الثقـــافة الرجعية ان توهمنـــا ، هى المناقشات التى لاجدوى لها أو لامعنى لها ٠٠ ولكن الفلســفة أبسط من هذا ٠٠ انها نظرة الانسان الى الحياة ٠٠ هذه النظرة التى تمتد الى تصرفات الانسان نحو نفسه ثم نحو أسرته واخيرا نحو المجتمع الذى يعيش فيه ٠

ولقد أغرقتنا الرجعية والاستعمار في فلسفات مثالية لاتربطنـــــا بالواقع الذىنعيشه ٠٠ واستطاعت أن توهمنا بأن الواقع لايمكن تغييره وبثت فينا روح التواكل والاستسلام للاقدار و ٠٠٠ وعاشت الرجعيـــة لتلتهم هى نفسها الواقع وتتخم بما تنتجه الارض وما يبذله العامل ٠

وارادت لنا أن نعيش على أوهام « كسب ورقة اليانصيب » أو أحلام الثراء المفاجيء ٠

وعندما أوشكت هذه الفلسفة على الانهيار ، حاول الاستعمار من جديد أن يغرقنا فى نوع جديد من الفلسفة الوجودية ٠٠ لكى تؤدى بنا الى أحط أنواع الانحلال وبذلك تضعف فينا روح المقاومة وعزيمة الكفاح ٠

وجاء الميثاق ٠٠ لم يأخذ عبد الناصر فيه بالفلسفة المثالية بلحطمها كما لم يأخذ بالمادية الجدلية كلها ، بل أخذ منها بعض أوجهها كما ض اليها بعض القيم الانسانية من الفلسفة المثالية ٠٠ وهكذا جاء الميثـــاق بفلسفة مستمدة من الحياة ٠٠ فلسفة تضع التجربة فى المقام الاول وبذلك رسم الميثاق طريقا لتغيير حياتنا دون أن يتجاهل واقعنا ، كما انه يعمل على تغيير الواقع دون أن يتجاهل حياتنا ٠

هذه هى الفلسفة الجديدة التى يقدمها الميثاق لتحل محل فلســـفة التواكل أو الانحلال ٠٠ أو الاستسلام أما مالواقع ٠

انها فلسفة تدفعنا الى العمل فى اطار حياتنا الجديدة ، وتحددنظرتنا الى الحياة حتى نستطيع أن نغير الواقع المرير الى حياة أفضل ٠

لقد أكد الرائد العربى ارادة الانسان ، وقدرته على تغيير حياته ٠٠

لقد كنا نسمع من يقول ونحن نتحدث عن الفلاح «ان الفلاح راض بحياته» أو « الفلاح طول عمره كده » واذا تناولنا العامل بالحديث قيل « والله مافيش فايدة » واذا تحدثنا عن الفوارق بين الطبقات أسرعوا قائلين « انتم عايزين تغيروا المكتوب أهو كل واحد وحظه » .

وجاء الميثاق ليشجب كل هذا وليضع ارادة الانسان فى مكانها اللائق وليؤكد قدرة الفرد وليعيد للانسان ثقته فى نفسه وفى المستقبل

وكان الشكل السياسى والاقتصادى للدولة قبل ثورة ١٩٥٢م نظاما اقطاعيا واستعماريا فى المقام الاول .. وكانت القوى المسيطرة هى القوى الاقطاعية الممثلة فى النظام الملكى وكبار ملاك الاراضى الزراعية ووراءهم جيوش الاستعمار تحميهم وتشد أزرهم .

وجاء عبد الناصر ليغير هذا كله .. وبمعنى أدق جاء الميثاق بنظرة سياسية جديدة لبناء أساس سياسى جديد يحل محل النظام السياسى القديم الذى انهار .

ولقد كانت الدولة فيما مضى تعتمد على الاستعمار فى حماية نفسها من أى عدوان خارجى أو أية ثورةداخلية ، وكان العدو الخارجى للاستعمار هو نفسه العدو الخارجى للاقطاع ، وكان ذلك يحدث بالتبعية .. ولهذا كان وجود جنود الاحتلال ثم المعاهدات نتيجة طبيعية لسيطرة الطبقات الرجعية .

وبعد انهيار هذا النظام الاستعمارى الاقطاعى ، كان لابد للدولة من نظام سياسى يحميها ضد الاعداء .. وجاء الميثاق ليحدد النظام السياسى الجديد .. وهو نظام يقوم على أساس تكتل كل قوى الشعب ضد العدو المشترك .

ان النظام السياسى الجديد الذى يقوم على تجميع كل فئات الشعب فى الاتحاد الاشتراكى والذى نص على وجوب تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ ٪ فى المجلس النيابى القادم .. انما عمل على تكتل كل القوى المعادية للاستعمار فى جبهة واحدة لمقاومة العدو المشترك .. وكما نظر الميثاق الى الواقع السياسى الداخلى الذى نعيش فيه وعمل على وضع أساس جديد يخلف النظم البالية كذلك وضع الميثاق أساسا جديدا لسياستنا الخارجية فجاءت تعبيرا صادقا ومعبرا عن الواقع ، سواء كان ذلك بتحررنا من التبعية للاستعمار ، أو تقديره الواقعى للقوى التى تلعب دورها فى المجال العالمى ومدى تحركها معنا ، فوضع الميثاق لاول مرة فى حياتنا تقديرا حقيقيا لمدى تفوق المعسكر الشيوعى وأثر ذلك فى تطورنا .

وثمة ثقافات أخرى كثيرة عرضها الرائد العربى فى الميثاق .

ولعل أبرز مافى الميثاق ، انه وضع الاساس النظرى لقوانين يوليو ٦١ فقضى بذلك على المفهوم التقليدى للاقتصاد ، كما قضى على تبعيتنا لمدارس الاقتصاد الغربى .. فكشف الميثاق عن عيوب وأخطار وأخطاء النظريات التى تنادى بالحرية الاقتصادية ، وأوضح أن هذه الحرية معناها

تبعية الشعوب المتحررة حديثا لنظام الاستغلال الغربى كما قضى الميثاق على حرية استغلال الفرد داخل وطنه ·

لقد قامت الرأسمالية على انقاض الاقطاع واستطاعت فى لحظات نموها أن تعمل على نمو الانتاج ، ولكن هذا النظام تحول الى عملية سرقة ونهب للشعوب عن طريق الاستعمار ، كما فرق بين أبناء الوطن الواحد بأن جعل بينهم سادة يملكون المال وعبيدا يعملون تحت وطأة الحاجة ·

وجاء الميثاق ليمزق قناع هذه النظم الاقتصادية وليكشف عن حقيقتها وليقضى على نظريات الاستغلال ·

لقد كان النظام الاقتصادى التقليدى يفرض على مصر أن تكون مزرعة قطن « للنكشير » ·· واستطاعت أسس هذه النظريات أن تقنعنا بأننا بلد زراعى وان امكانيات التصنيع فى بلادنا غير متوافرة ·· وقضى الميثاق على هذه الخرافات ورسم الطريق لاساس اقتصادى جديد ·

وكان الاقتصاد التقليدى الذى يدرس فى معاهدنا وجامعاتنا ينظر الى جهد الانسان وعمله على أنه سلعة ، وبذلك جعل العامل جزءا من الآلة وليس طاقة بشرية ، فنص الميثاق على أن العامل هو سيد الآلة ·

لقد أوضح عبد الناصر بما لا يدع مجالا للشك أن الطريق القديم للنمو الاقتصادى القائم على نظريات الاقتصاد الرأسمالى طريق مقفل وان نهاية هذا النظام قد اقتربت ·· ولم تمض الا أيام حتى شاهدنا الأزمة الطاحنة التى تجتاح الاقتصاد الغربى والانهيار الذى أصاب الشركات والاسهم ·

لقد كشف الميثاق القناع عن نظريات الاستغلال ، ووضع مكانها أسسا جديدة لتطبيق الاقتصاد الاشتراكى الذى يخدم الفرد ويعمل على التنمية دون استغلال ، ويمضى فى دورته دون ازمات دورية أو مفاجئة ·

ولهذا أعلن الميثاق أن الاشتراكية التى نتبعها اشتراكية علمية ·

ثم كان القانون فى الميثاق ·· وقد تعلمنا من قبل أنه اذا سرق الجائع رغيفا أدانه القانون ووضعه فى السجن . أما اذا حول الملك أموال الاوقاف الخيرية الى أمواله الخاصة فالقانون يحميه ·· والعامل أو الفقير الذى يسرق لشراء دواء لابنه ينبذه المجتمع باسم القانون أما صاحب رأس المال الذى يسرق جهد العمال ليبنى ملايين الجنيهات فالقانون يحميه والمجتمع يبجله ·

هذا القانون الذى وضعته الطبقات الرأسمالية فى أثناء تطور نمو الرأسمالية فى أوروبا لحماية جشعها ·· والذى نقلناه الى محاكمنا ·· يجب أن يتغير ·· وهذا ما نص عليه الميثاق ·

ان القانون يجب أن يكون فى خدمة الناس جميعا ، لا أن يكون أداة فى يد طبقة لاستعباد واستغلال طبقة أخرى ·· ولهذا كان لا بد من تغيير القوانين حتى نبسط للفقير حقه فى الحياة ، فاذا أخطأ بعد ذلك وجبت محاكمته ·· اما أن تسلبه لقمة العيش ونحاكمه على سرقتها ، فهذا يتنافى

مع أبسط المعانى الانسانية ·· وأما أن نحرمه العلاج والدواء ونحاكمه اذا أراد أن ينتزع حقه فى الحياة ·· فهذا ظلم اجتماعى لا يمكن أى قانون عادل أن يأخذ به ·

ان القانون المدنى والقانون الجنائى والاجراءات التى تتخذ فى المحاكم لتعقيد الأمور أمام الفقير لاسترداد حقوقه ·· هذه القوانين التى أخذناها عن الدول الرأسمالية والتى كانت تهدف الى حماية فئة الرأسمالية وهى تنتزع حقوق الجماهير فى الحياة ·· هذه القوانين أصبحت من اليوم موضع نظر ، فهى لا يمكن أن تتلاءم مع أوضاعنا الجديدة ·· وتطورنا نحو المستقبل ·

فحماية القانون يجب أن تكون لملايين الناس ، لا أن يكون القانون أداة استغلال وبطش فى يد قلة من الاستغلاليين ·

ودرس آخر جديد ·· يقول :

« العامل سيد الآلة » ··

وهذه الكلمة البسيطة تحمل فى طياتها الكثير من التغيرات التى حدثت وتحدث فى مجتمعنا منذ ثورة يوليو ٥٢ ·

لقد كان العامل فى الماضى عبدا للآلة ·· فاذا توقفت الآلة توقف عمله وانقطع أجره ·· واذا زادت الآلة من انتاجها زاد أجره واذا حدثت أزمة وأرغمت الآلة على الصمت توقفت حياة العامل ·

كل هذا كان يحدث نتيجة لنظام الاستغلال القائم على تقديس رأس المال وامتيازات أصحاب رءوس الأموال ·

وجاء الميثاق ليضع الاسس النظرية للتغييرات الاجتماعية التى حدثت خلال العشر الماضية ·

ملايين الفلاحين أصبحوا يملكون الارض ·· وآلاف العمال ينتظمون داخل المصانع ·· وهكذا دخل الملايين الى المجتمع أسيادا وليسوا عبيدا ·

لم يعد المجتمع هو جماعة الأثرياء وأصحاب القصور ، بل تغير وجه المجتمع واحتل العمال والفلاحون المكان اللائق بهم ·· وليس معنى ذلك أن العمال والفلاحين أصبحوا فى مكان الاقطاعيين والرأسماليين ·· ولكن النظرة الجديدة للمجتمع هى المساواة بين الناس جميعا ·

وهكذا وضع عبد الناصر الأسس ليقرر المساواة ، فالانسان الذى يولد فى الحياة متساويا فى كل شيء ثم تجعل الثروات من البعض عبيدا للبعض الآخر ·· هذه النظرة تتحطم لتحل مكانها أسس جديدة للمجتمع أسس تحترم الانسان وتسوى بين البشر ، ولن يكون هناك فضل لانسان على أخيه الانسان الا بعمله ·

فالميثاق يضع أسس العلاقات الجديدة فالاحترام لن يكون لصاحب العربة الفخمة أو القصور الكبيرة ، ولكن احترام الناس بعضهم لبعض سيتوقف على مقدار عملهم وجهدهم فى سبيل خدمة المجموع ·

ويقضى الميثاق على الامتيازات الطبيعية ‥ كمـــا يقضى أيضا على التفرقة بين العمل اليدوى والعمل الفكرى ‥ وبذلك يرفع العمل اليدوى الى مستواه اللائق به ‥

كما يقضى الميثاق على العناصر الطفيلية التى تعيش على جهد الآخرين دون أى جهد أو عمل ‥ ان الميثاق يفتـــح الطريق امام أسس جديدة للعلاقات ويضع الخطوط الاولى لقيم أخلاقية جديدة ٠

والميثاق يؤكد الثقة بالشعب ٠ وليس لنا أن نخاف رواسب الماضى لنعتقد أن الشعب لم يصل بعد الى المستوى الذى يجعله كفئا لحمـــل المسئولية ٠

وليس هذا الشك أو الخوف مقصورا على ثورتنا ‥ ففى كل الثورات التى حدثت عبر التاريخ نجد قادة فكريين وسياسيين يقفون مترددين فى ذعر وخوف مشفقين من قدرة الشعب على تحمل المسئولية ٠

ولكن الذى كان يحدث ، ان الشعب كان يحمل المسئولية كاملة ‥ على حين ينتكص الذين كانوا يشفقون عليه تماما كما أن وقوف الشعب بعيدا عن العمل السياسى والفكرى لم يكن نتيجة قصور بل كان هـذا يحدث تحت تهديد السلاح وبطش الطغاة ٠

والسياسة ليست الا العمل فى سبيل الجماهير ، والجماهير التى تعرف حقها كاملا والتى خاضت معارك عنيفة عبر التاريخ ضد الاقطاع والاحتكار كفيلة بأن تتقدم لتحمل المسئولية ٠

ان الايمان بالشعب ليس مشكلة الشعب ، ولكنه مشكلة أصحاب النظريات ‥ ولقدحسم الميثاق المشكلة بأن أزاح من أمام الجماهير العوائق التى كانت تسد الطريق أمامهم ٠

ولم تكن هذه هى وحدها كل الدروس الثقافية الجديدة التى قدمها رائد الفكر العربى فى الميثاق ‥ فثمة أشياء أخرى كثيرة ‥

يقول عبد الناصر فى الميثاق :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ٠ ان أى منهاج آخر لايستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود»

بهذه الكلمات الحاسمة ، حدد الرئيس طريقنا الى الاشتراكية فلم يعد هناك مجال للاستفسار أو السؤال ٠

فالاشتراكية التى نتجه اليها لا تقوم على النيات الحسنة أو الهبات ولكنها تقوم على أساس علمى له شكله السياسى وتخطيطه الاقتصادى ٠

فكما يقول الميثاق ٠

« ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » ٠

ولذلك ‥

« ان التخطيط الاشتراكى «الكفء» هو الطريقة الوحيدة التى تضمن

استخدام جميع الموارد الوطنية ، المادية والطبيعية والبشرية بطريقةعملية وعلمية وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية»

فالفكر العربى الآن مسئول عن دراسة وفهم الاشتراكية العلمية ·

وكما ينص الميثاق :

«ان التجارب الاجتماعية لاتعيش في عزلة بعضها عن بعض ، وانما التجارب الاجتماعية ـ كجزء من الحضارة الانسانية ـ تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق ·

«انها قابلة للانتقال لكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيدة ، لكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار »

بهذا التوضيح يتبين موقفنا من الاشتراكية العلمية ، فمهمة الفكر العربى اليوم هى العودة الى التراث الاشتراكى لنتبين من خلاله طريقنا بالدراسة والشرح ·

وننتقل من الاشتراكية العلمية الى الصراع الطبقى ·· فالاشتراكية العلمية هى التى تفسر لنا معنى التطور التاريخى خلال الصراع الطبقى ·

ولقد ظلت كلمة الصراع الطبقى محظورة من القاموس السياسى ممنوعة من التداول ، محرمة فى المناقشات ، ولم تبدأ فى احتلال مكانها الا منذ سنوات الثورة ، ثم جاء الميثاق ليؤكد وجودها ·

ولعل الاشاعات والأكاذيب والتفسيرات المضللة الخادعة هى التى جعلت كلمة الصراع الطبقى من المحظورات ·

فكلمة الصراع الطبقى ظلت مرتبطة بالصراع الدموى ، وكأنهما متلازمان · والحقيقة ان الصراع الطبقى ليس معناه اطلاقا الصراع الدموى· ولكن الاستعمار شاء أن يربط بين المعنيين حتى يحجب عنا الحقيقة ·

وحقيقة كلمة «الصراع الطبقى» انها تعطينا تفسيرا للتطور التاريخى فالاحتكار طبقة ·· والاقطاع طبقة ·· والرأسماليون طبقة ·· والعمال طبقة ·· والفلاحون طبقة ·· والصراع بين هذه الطبقات هو تطور التاريخ

فكلمة الصراع الطبقى تكشف لنا حقيقة عداوة الاحتكار العالمى أو الاستعمار للطبقات الوطنية والشعبية الشريفة ·· كما تكشف لنا أيضا عن سر ارتباط الاقطاع والنظم الملكية الرجعية بالطبقة الاحتكارية العالمية

وهى فى الوقت نفسه تكشف لنا عن ميزات ارتباط الطبقات الوطنية والشعبية فى صراعها ضد قوى الاستعمار والرجعية ·

أما الصراع بين الطبقات الرأسمالية الوطنية والطبقات الشعبية ·· فالطريق الاشتراكى يتيح الفرص لحل الصراع الطبقى سلميا بطريق اذابة الفوارق بين الطبقات ·

وعلى هذا الاساس يتبين لنا أن كلمة «الصراع» لاتعنى اطلاقا الصراع

الدموى .. فهناك صراع فى الفكر ، وصراع فى الرأى .. وهناك الصراع ضد الامراض والصراع ضد الجهل .

ولكن الاستعمار والرجعية شاءا أن يجعلا من الصراع الطبقى .. صراعا دمويا من أجل حجب الحقيقة عن الشعوب .

«فالميثاق» الذى تحدث عن الصراع الطبقى حله سلميا ، انما يفتح الطريق أمامنا لمنهج جديد فى البحث والدراسة واعادة كتابة تاريخنا ، ومشكلاتنا الاقتصادية على هذا المنهج العلمى .. كما انه يفتح الطريق من جديد لتفهم ثورتنا على حقيقتها ، حتى نستطيع ان نلبى مطالبها فى هذه المرحلة الهامة والحاسمة من تاريخنا .

ويجر الحديث عن الصراع الطبقى الى ما تناوله الميثاق عن المعسكر الشيوعى .

فانجلترا تعترف بالصين وتتبادل معها كل ما تريد سواء أكان اقتصاديا أم ثقافيا .

وانجلترا اعترفت بالاتحاد السوفيتى بعد ثورة اكتوبر الشيوعية بسنوات قليلة .

والغرب كله يعترف بالمعسكر الشيوعى ويتعايش معه سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

أما نحن .. فلم نعترف بالاتحاد السوفييتى الا عندما سمحت لنا انجلترا بذلك خلال الحرب العالمية الثانية .

.. ولم نعترف بالصين الشعبية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢

وكانت كلمة المعسكر الشيوعى ترعب الساسة ، وتخيف المفكرين وترهب أصحاب الاقلام .

وخلال سنوات طويلة لم نكن نعرف أو نعلم عن المعسكر الشيوعى الا الخرافات والأكاذيب التى يطلقها المعسكر الاستعمارى أو أذنابه من الرجعية .

وعلى الرغم من العلاقات التى توطدت فى السنوات الاخيرة بين الجمهورية العربية والمعسكر الشيوعى سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم علمية فان الاعتراف بهذا المعسكر كقوة لها مكانتها فى العالم سواء أكان عسكريا أم اقتصاديا كان يتردد فى همس وخوف وكان الحقيقة يجب أن توأد ...

ولقد كان من البديهى أن يعمل الاستعمار على عزلنا عن المعسكر الشيوعى لينفرد بنا ويتحكم فينا ويسيطر علينا . وبذلك نظل أسرى لعلاقاته الاقتصادية ، خاضعين لارهابه العسكرى مستسلمين لعدوانه .

ولكن هل يمكن بعد تحررنا أن نظل فى هذه الاوضاع الذليلة ..

لانتحرك ولا نعرف شيئا عن المعسكر الشيوعى الا مايمليه علينا الاستعمار بمفاهيمه المسمومة .

لقد تحركنا كثيرا .. وتحررنا من أوهام كثيرة ، ولكن آثار الماضى كانت مازالت مسيطرة على كثير من القطاعات وجاء الميثاق ليعلن :

« ان أبرز التغييرات التى طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا - تعاظم قوة الحركات الوطنية .

ثانيا - ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة .

ثالثا - التقدم العلمى الهائل ..

وهكذا يعلن الميثاق أن ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى يعد من التغييرات الضخمة التى أتت معها بظروف جديدة تؤثر تأثيرا لاجدال فيه على العمل من أجل أهداف النضال الوطنى لكل الامم ، بما فى ذلك أهداف الامة العربية» .

هذه الكلمات الصريحة الواضحة، تفتح الطريق أمام الحقيقة المرهوبة لتشق طريقها فى مجالنا السياسى والثقافى والعلمى .

فالمعسكر الشيوعى الذى يتزايد انتاجه الاقتصادى فى المجال العالمى والذى بلغ هذا التفوق العلمى الكبير ، لم يعد فى الامكان انكاره والاعشنا فى عزلة سخيفة .

والميثاق الذى تحدث بصراحة فى هذا الموضوع ، انما يطالبنا أن نتابع التطورات التى تحدث فى المعسكر الشيوعى كما عودنا أن نتابع تطورات المعسكر الغربى .

ولم يعد أمام أصحاب الفكر والقادة الشعبيين الا أن يتلفتوا الى هذه التطورات المادية والمعنوية لينقلوا آثارها الى جماهير الشعب .

ويتحدث عبد الناصر فى الميثاق عن الاستعمار فيقول :

« ان الاستعمار الذى مازال متمسكا بأهدافه ، غير أسلوبه» .

وهكذا يؤكد لنا أو يذكرنا بأن المعركة ضد الاستعمار لم تنته بعد وأن التناقض الرئيسى مازال متمسكا بأهدافه لن يلجأ الى العدوان المباشر كما فعل فى حرب السويس ، ولكنه غير أسلوبه ، ولذلك فان اليقظة والحذر من أهم متطلبات المرحلة الحالية فى كفاحنا من أجل تطور حياتنا وبناء مستقبلنا .

وهذا التحديد من الرئيس فى الميثاق انما يرسم المنهج ويضع حدا للجدل الذى ثار منذ نهاية حرب السويس .. هل انتهت المعركة ضد الاستعمار أم مازالت قائمة .

وحسم الميثاق الجدل ·· ولذلك يجب أن نضع فى مجالنا الفكرى والسياسى والعملى التخطيط اللازم لمواجهة مؤامرة الاستعمار وأعوان الاستعمار ·· فان حماية البناء الاشتراكى تتطلب اليقظة ضد المؤامرات والعمل لكيلا تمتد النكسة التى حدثت فى أجزاء من العالم العربى ·

ان الاستعمار لن ينتهى الا بالانهيار التام ·· والذين ربطوا حياتهم بحياة الاستعمار لن ييئسوا فى استرداد ما فقدوه الا عند ما يستسلم الاستعمار نهائيا ·· ولن يستسلم الاستعمار الا عندما ينتهى بناؤه الاحتكارى على أبشع أنواع الاستغلال وغزو الاسواق ·

فاذا كنا نؤمن :

« أن التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة» ·

يجب أن نذكر دائما أن هناك من لا يزال يؤمن بالتفرقة بين الناس ·· وان هناك نظما مازالت تعيش عن طريق النهب والسخرة ·· ويجب أن ننتبه دائما حتى لانقع بين أيدى الوحوش البشرية من مصاصى الدماء وأكلة لحوم البشر ، والذين يتلذذون بشرب عرق الآخرين ونهب قوتهم ·

والحديث عن الاستعمار ، يجرنا الى تناول مشكلة الرجعية وهى التى لم يغفلها الرئيس فى الميثاق بل أعلنها صريحة ·

« أن الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ماقد يغريها بالتصدى للتيار الثورى الجارف خصوصا فى اعتمادها على الفلول الرجعية فى العالم العربى ، المستورد من جانب قوى الاستعمار ·

ان اليقظة الثورية كفيلة تحت كل الظروف بسحق كل تسلل رجعى مهما كانت أساليبه ومهما كانت القوى المساعدة له » ·

فالرجعية مازالت موجودة ماديا وفكريا ·· فهى الاخرى لم تستسلم وان كانت تقبع منكمشة تعمل فى الظلام وترقب الفرصة المناسبة لتبستر أراضيها ·

والرجعية فى عجزها لاتتوانى عن بث أفكارها المسمومة بالاشاعات والاكاذيب ·

فالرجعية فكر تربى ونشأ وارتبط بالاستعمار والاستغلال ، وهى ذات قيم منحلة لاتتورع عن الانقضاض بأبشع الصور ·· ولن تتوانى عن أن تضرب من الخلف لو أتيحت لها ثغرة تنفذ منها ·

ولهذا ، لم يغفل الميثاق التنبيه الى خطر وجود الرجعية ، حتى يمكن أن ينشأ فكر جديد يجتث جذور الفكر الرجعى ، وان نتنبه فى العمل السياسى الى خطورة الرجعية ·

هذه الحقائق التى عرضها الميثاق مع عشرات من المشكلات والمهام

السياسية والاقتصادية والفكرية .. من المسئول عن تبنيها وحمل عبء القيام بها ؟

لقد نص الميثاق ...

« ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات» .

فالجهاز السياسى الجديد لا بد أن يكون واعيا للدور الذى يقوم به فهو قدوة وليس قيادة فحسب .. فلن تكون مهمته المراقبة بل مهمتـــه هى التوعية والتوجيه والمبادرة الى العمل .

وهذا الجهاز لن يستطيع القيام بمهامه الا اذا كان مسلحا فكريا وواعيا للمرحلة التى نمر بها ، مؤمنا بدوره . .واثقا من قدرات الشعب.

هذا الجهاز السياسى ضرورة للشعب حتى يجمع الجماهير نحـــو أهداف الثورة ويدفعها الى البناء بحماس لبناء الغد .. وهو ضرورى لبث الوعى والفكر السياسى الذى يقود عمل الجماهير .

والثورة فى سيرها فى حاجة الى هذا الجهاز الذى يتلقىمنها اشارات العمل ويتنقل بين الجماهير ليكونالصلة بين قيادة الثورة وجماهيرالشعب

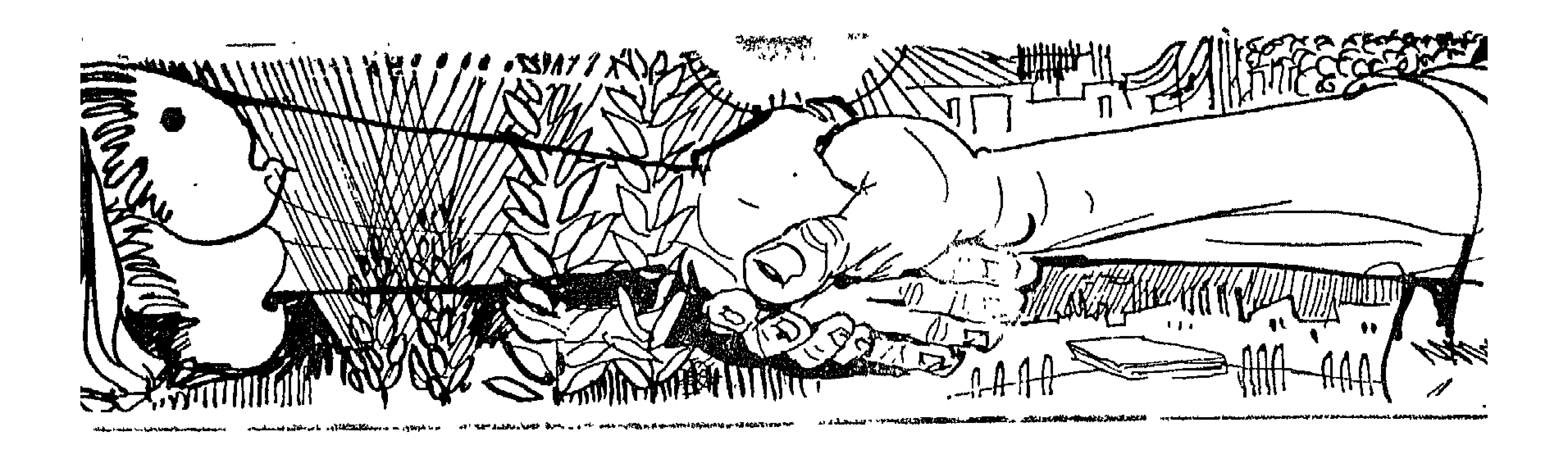
ولن يكون هذا الجهاز أداة للرقابة ولكنه أداة للتوعية وبث الحماس وتجنيد الملايين لبناء المستقبل الافضل .

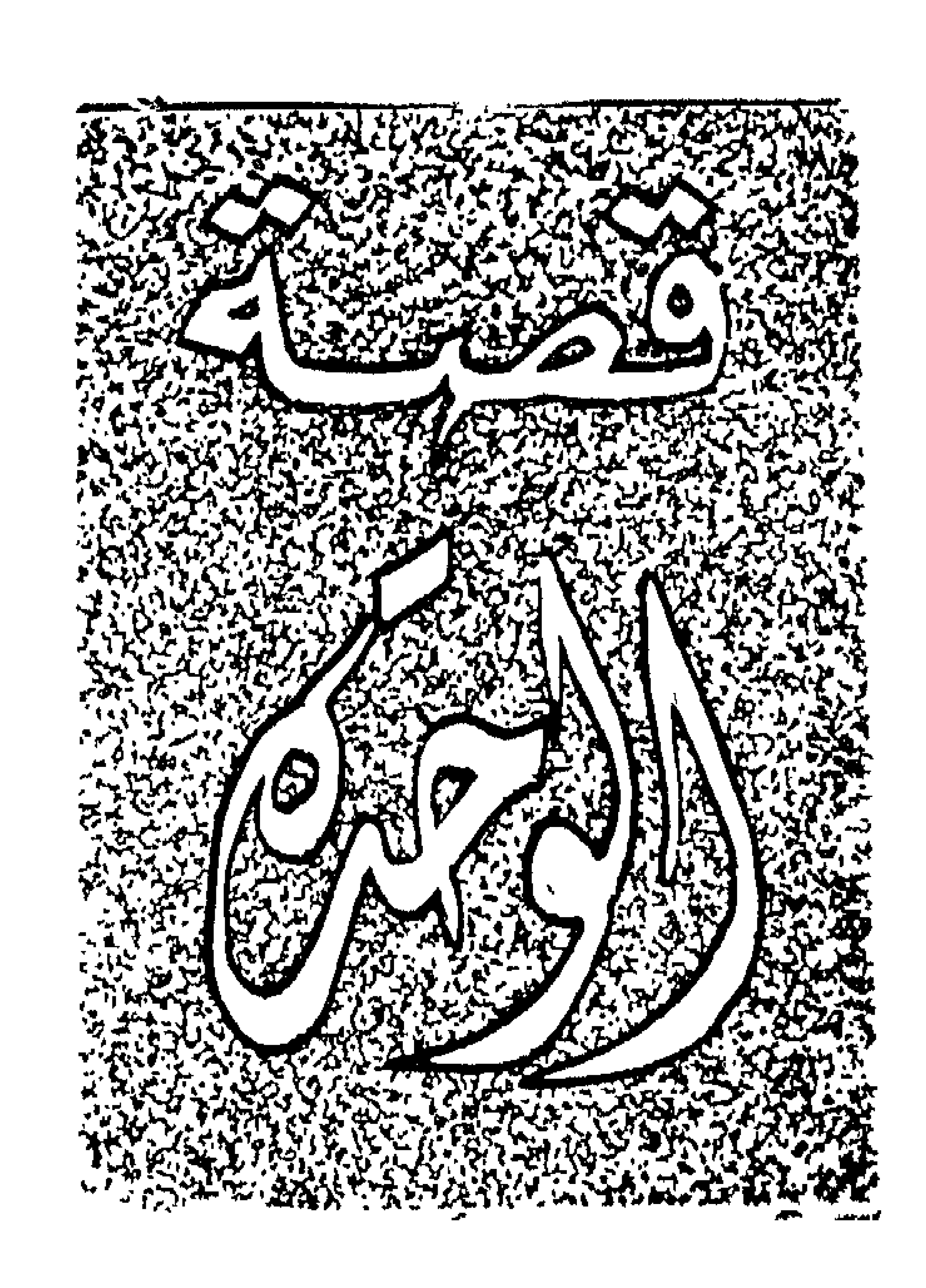
وبعد ، فان الميثاق كما أعلنه عبد الناصر ، قد بلور كل تجــارب شعبنا فى السنوات العشر الماضية ، وفتح الطريق أمام تجاربه فى السنين الطويلة القادمة التى سيخوضها شعبنا مسلحا بايمانه العميق ، وثوريته الأصيلة ، وقيادته المتمثلة فى رائده العظيم ..

ان الميثاق ، هو ميثاق للعملومرشد للكفاح ، ومن أجلثلاثة أهداف كبرى يقودنا اليها جمال عبد الناصر : الحرية والاشتراكية والوحدة ..

وفى الميثاق ضمان لوضوح النظرية التى ترسم طريق العمل

وفى القيادة المتمثلة فى جمال عبد الناصر ضمان للسير فى طريق العمل بلا تردد .. وهو طريق طويل .. طويل ، ولكن شعبنا لن ينحرف عنه قيد أنملة .. لأن جمال عبد الناصر هو رائد الطريق ..!!




قصة
الوحدة

منذ أربعمائة عام فرقت بين الشمال والجنوب سنابك خيل الغزاة العثمانيين ، وقسمتها « ايالات » عثمانية يحكم كلا منها « باشا » يتلقى الفرمان من استامبول ، ويرسل عرق الشعب وجوعه وحرمانه وشقاءه الى صاحب العرش وغلمانه وجواريه في ـ استامبول ـ على هيئة مجوهرات وذهب وفضة وخيرات يسبح فيها صاحب العرش وغلمانه وجواريه .

ومضت أربعة قرون طوال ، امتصت فيها السلطنة العثمانية دماءنا وفرقت بيننا وصنعت من البلد الواحد عدة بلدان ..

ثم جاء الرجل الأبيض .. جـــاء الاحتلال الاوربى ليرث الاحتلال العثماني .. ويعزز أسباب التفرقة ويزيد عوامل الانفصال .

واقتطع الاستعمار الاوربى فلسطين وأعطاها الصهيونية ، وفصل بذلك أرض مصر عن أرض الشام ، وامتلأ ثقة بعد ذلك بأنه لا لقاء الى الأبد بين دمشق والقاهرة ..

ولكن القاهرة ودمشق التقتا ، بالرغم من أربعمائة عام من الاحتلال العثمانى ، وبالرغم من قطع الطريق برا بين مصر والشام وتسليمه الى عصابة مسلحة من الصهيونيين ..

كيف حدثت هذه المعجزة ؟.

ان السماء لا تمطر معجزات على الشعوب ، لأن المعجزات دائما من صنع الشعوب .. ولا يوجد شعب يستطيع أن يصنع المعجزة كما يصنعها السحرة والحواة .. فلا بد لكل معجزة يصنعها الشعب من ثمن كبير يؤديه الشعب ..

ولكن شعبنا كثيرا مابذل الاثمان الفادحة ليصنع معجزة الحـــرية والاستقلال والوحدة .. فلم يجد الى ذلك سبيلا ، ولم يخرج من معاركه الطويلة خلال القرون الأربعة الماضية الا بالجراح الدامية والأمل الخـــائب واليأس المرير ..

ثم آن للمعجزة أن تتحقق ..

واستجابت السماء دعاء الملايين من شعبنا في أجيالهم المتعاقبة عبر

القرون الأربعة الحالكة .. استجابت السماء لهم فوهبت لكفاحهم القائد الذى تتحول المعركة على يديه الى انتصار ، ويتحول الانتصار الى حرية ، وتتحول الحرية الى معجزة تحقق حلم شعبنا القديم .. حلم الوحدة بين الشمال والجنوب ..

وهكذا بدأ دور جمال عبد الناصر فى حياة شعبنا ، بعد مخـاض طويل فى ظلمات العبودية واليأس والظلم والطغيان ..

ان جمال عبد الناصر هو الذى صنع هذا الشىء الرائع الذى حدث فى بلادنا لأول مرة منذ أربعمائة عام ..

انه هو الذى صنع الوحدة بين الشمال والجنوب ، عندما اسـتجاب لنداء الشعبين السورى والمصرى .

وجمال عبد الناصر لم يبتكر الوحدة بين مصر وسوريا ، فان هـذه الوحدة صلة موغلة فى القدم بين الاقليمين ، وقد كانت موجودة قبـل مولد جيل عبد الناصر كله بألوف السنين !

الا أن ارادة الوحدة التى ثارت فى صدور الملايين فى الشـمال والجنوب ، لم تجد من يضعها موضع التنفيذ الا جمال عبد الناصر .. البطل الذى تم على يديه شىء خارق لم يحـدث فى بلادنا منذ أربعمائة عام .. تمت على يديهمعجزة جمعت ممثلى مصر وسوريا معا فى عاصمة واحدة ، تحت راية واحدة ، متجهين الى هدف واحد ..

ان هذه الوحدة التى فرضها شعبسورية ومصر على قيادته القومية المؤمنة بأهدافه ، لا ينتقص منها تلك النكسة الانفصـالية التى قامت وانتصر فى الجولة الأولى منها عملاء الاستعمار

فالوحدة هى الخطوة المنطقية التى قاد التاريخ شعبنا اليها ، بشىء يشبه الالهام ..

ان شعبنا بغريزته لا يخطىء الطريق الصحيح ، لأن فى أعماقه الهاما عجيبا يضىء له كل الطرق ، فيعرف أيها أهدى سبيلا ، وأيها يبلغ به هدفه العظيم ..

وهكذا اختار الشعب فى سورية ومصر الوحدة لأنها طريقه الخاصة، لم يمهدها له أحد ، ولم يشر عليه بالسير فيها أحد ، ولم يعلق له على جانبيها المصابيح أحد .

كل ماحدث هو أن جمال عبد الناصر استطاع أن يفتح عيون الشعب العربى على الطريق الصحيح ..

وعلى ضوء الهدى الجديد استطاع الشعب أن يرى نفسه ، وطوال الأيام الأولى التى استمرت فيها الوحدة تبدلت أحواله تماما .. تبدل مصيره .. انتهى نحسه القديم .. لقد تحول الشعبان الى شعب ينعقد الخير بيديه ، ويفتح له المستقبل جميع أبوابه !

ومع الوحدة ، زادت الصناعات فى سورية ومصر ، وكانت تزداد نموا كل سنة ، وراحت الميزانية تتضخم وتكبر وتتسع مواردها ، كما تتسع وجوه نفقاتها لخير هذا الشعب ومصلحته ورخائه ومجده !

وجيشنا أصبح أكبر قوة فى الشرق الأوسط .. وبعد أن كانت اسرائيل «بعبع» العرب الضعفاء ، أصبح العرب بعبع اسرائيل ، لأنهم صاروا أقوياء ..

ومع وجه شعبنا الذى يبرز وسط هذه الاحداث التاريخية ، يبرز وجه قائد هذا الشعب ، الذى كان مهندس جميع هذه الانتصارات ، وملهم الشعب ، ورائده فى الطريق الذى تقف على جانبيه ذئاب الاعداء تريد أن تتخطف أمتنا السائرة فيه !

وعندما استطاع الأعداء أن ينتكسوا بالوحدة .. وحاولوا أن يمزقوها ويطعنوها ، ثم جدوا فى محاولاتهم خلق صدام بين أبناء الشعب الواحد .. وقف عبد الناصر وقفته الخالدة ...

فوق الآلام ، وفوق الجراح ..

« وكان هذا هو الموقف التاريخى الكبير للشعب العربى بقيادة زعيمه البطل جمال عبد الناصر .. فى تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ العروبة وتاريخ المعركة التى تخوضها العروبة ضد أعدائها المتربصين بها من الخارج ، والمندسين بين صفوفها فى الداخل ..

ولم يكن هذا الموقف التاريخى الكبير ، مجرد بطولة رومانتيكية للشعب العربى وزعيمه ، فى المناسبة التاريخية العاصفة التى اقتضت هذا الموقف .

فقد انتهى تماما زمن البطولات الرومانتيكية فى دنيا الكفاح العربى، منذ تسلم زمام قيادتهم وزعامتهم جمال عبد الناصر .. البطل الخيالى البطولة ، ولكنه فى الوقت نفسه .. البطل الواقعى الذى يرى بكل وضوح معالم الحقائق حواليه ، ويلمس مادتها الصلبة .. ويتخذ منها المواقف الصحيحة .. النبيلة ، المتسمة بكل اثارة البطولة الرومانتيكية الرائعة، ولكن .. بواقعية تامة ، وعقل واسع عميق خال تماما من الأوهام !

والشامتون من أعدائنا، كالصهيونيين والاستعماريين والعملاء الذين اعتبروا أن موقف عبد الناصر وشعبه فوق الآلام ، وفوق الجراح ، موقف بالغ النبل الى حد الاقتراب من مواقف الفروسية القديمة ، التى لم تعد الان مواقف عملية .. هؤلاء الشامتون المعادون للعرب والعروبة ، ولزعيم القومية العربية بوجه خاص ، توهموا أن عبارة عبد الناصر الخالدة التى عبر بها عن ألمه الانسانى الحقيقى الذى لا يمكن انكاره .. ثم عبر بها عن تساميه فوق هذا الألم ... توهموا أن هذه العبارة تدل على أن القومية العربية لم تلتصق فى كفاحها بواقع الحياة .. وحقائق العالم الذى يعيش فيه الناس ويتقاتلون ويسفك بعضهم دماء بعض .. ولو كانوا ذوى قربى أو كانوا اخوة أشقاء .

وقد أخطأ أعداء القومية العربية فى فهم نفسيتها ومثلها الأخلاقية الرفيعة ، عندما حققت القومية العربية انتصاراتها الباهرة خلال السنوات العشر الماضية بقيادة عبد الناصر

فى ذلك الوقت الذى هو على مرمى بصرنا ، ظل أعداء القومية العربية يرمونها بالتعصب العنصرى والاستغلال والوحشية والرغبة فى سفك الدماء .

لهذا رفع الأعداء عقائرهم وكأنهم يحتجون على أن عبد الناصر ، أطلق فى وجه الأزمة الانفصالية الرجعية ، صيحته الخالدة :

« فوق الآلام ، وفوق الجراح » .. ولم يطلق بدلا من هذه الصيحة النبيلة صيحات أخرى كان أعداء قوميتنا يودون سماعها فى هذه الأزمة الانفصالية التى صنعها أعداء العرب وعملاؤهم !

لو أن عبد الناصر استسلم للمرارة فى هذه الأزمة وهو شعور انسانى طبيعى ـ لهلل أعداء القومية العربية ، واتخذوا من ذلك حجة كبرى على ما يريدون ترويجه من أباطيل وأراجيف حول القومية العربية وقائدها ورائد كفاحها العظيم .

أما وقد وقف جمال عبد الناصر ، يطلب الى الشعب العربى أن يرتفع ساعة الألم ، فوق الجراح والآلام ، فان الاستعماريين والصهيونيين أبدوا دهشتهم وخيبة أملهم ، لأن جمال عبد الناصر ، فى أشد ساعات الأزمة ظلاما ، لم يشأ أن يعطى الظالمين من المستعمرين وعملائهم فرصة .

ولم يكن جمال عبد الناصر ، حين ارتفع مع شعبه فوق الآلام والجراح ، يمارس بطولة رومانتيكية مجردة ، كما يتوهم خصومنا ، بل كان فى الواقع يقف مع شعبه فى مستوى الحادث التاريخى الجسيم الذى وقع .

ان ارتفاع عبد الناصر وشعبه فوق الجراح والآلام ، مواجهة واقعية للحقائق التى اجتمعت فى الازمة الانفصالية الرجعية التى انفجرت فى دمشق ..

ولم يكن ثمة بديل لهذه المواجهة الواقعية للموقف الحاد ، الا مواجهته بالعنف ..

وعندئذ يرفع العربى السلاح فى وجه أخيه العربى ، ويسفك الشقيق دم شقيقه ..

ولو أن عبد الناصر ، لم يكن شديد الواقعية فى النظر الى الأمور لانساق وراء نداء العنف ، ولتندفق فوق الأرض العربية سيل من الدم العربى .

ولكن عبد الناصر ، يعرف يقينا أن الدم العربى لن يجرى الا فى التحام دموى لتقرير المصير العربى حين يصبح لامفر له من الالتحام بأعدائه المتربصين به فى طريق حريته ووحدته ليمنعوه من بلوغ غاية هذا الطريق الطويل ..

وعبد الناصر ينظر الى الأمور كلها نظرة شاملة ، كأنه ينظر من فوق جبل ·· انه « صقر العرب » الذي يرى لهم وهو محلق في السماء أبعادا شاسعة ، هي أبعاد مستقبلهم الذي يرتاد لهم طريقه الوعر الشاق··

وهذه النظرة الشاملة للأمور ، هي التي جعلت عبد الناصر ، لا يعطى الانقلاب الرجعي الانفصالي في دمشق أكثر مما له من الخطورة ·· فقد كان بلا ريب حدثا خطيرا جسيما ··

ولكن مهما كانت خطورته وجسامته ، فان النظرة الشاملة للأمور ـ نظرة عبد الناصر ـ قد وضعت هذا الحادث بكل خطورته وجسامته ، في موضعه الصحيح بلا زيادة ولا نقصان ·· وأدركت بجلاء أنه مامن حادث ضخم ينفجر في دنيا العرب الواسعة ، يمكن أن يكون ـ على المدى الطويل ـ أكثر من جسر ينهار فوق النهر الجاري للقومية العربية ، ومهما تكن ضخامة هذا الجسر ، ومهما يكن الدوى الذي أحدثه عندما انهار ، فان من الممكن اصلاح أمره ، ثم مواصلة السير في الطريق العربي الممتد الى آخر مدى للآمال العربية !

وهكذا لم يكن عبد الناصر عندما طلب الى الشعب العربي أن يرتفع فوق الجراح والآلام ، يمارس بطولة رومانتيكية ، كما يزعم أعداء العرب ، بل كان يمارس واقعية صرفه ، تلتصق بالواقع الى أقصى حد ، ولا تغفل لحظة عن مقتضيات الواقع ·

ان واقعنا القومي كله كأمة عربية تناضل في سبيل حريتهـــا ووحدتها ، قد فرض موقف الأخوة النبيل الذي وقفه عبد الناصرفي الأزمة الانفصالية الرجعية العميلة للاستعمار ، قـــد ثبتت مواقعها في الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ؛

وصحيح أن المباغتة الغادرة التي لجأ اليها الانفصاليون العملاء ، قد أعطتهم ربحا مؤقتا ، وأكسبتهم أول جولة ··

ولكن ·· متى كانت معارك التاريخ الكبرى تتقرر بجولة أولى أو ثانية أو ثالثة ؟

ان عبد الناصر لم يكن يناضل من أجل اتحاد مصر وسورية فقط ·· فلو كان اتحادهما هو غاية جهاد عبد الناصر ، ماكان لهذه الغاية مضمون ثوري عربي ·· ولكن عبد الناصر يجاهد من أجل القومية العربية بأوسع معانيها ·· يجاهد من أجل أمة عربية واحدة تتحرر وتستقل وتسلك طريق التطور والعدالة الاجتماعية · وتساهم في خدمة النوع الانســاني كله ·

وهذه الرسالة الكبيرة ، التي قلما حمل مثلها زعيم من زعماء التاريخ ، لا يتقرر مصيرها بعمل طائش تقوم به عصبة مفتونة باغيــة لا ترى الا مصالحها الشخصية في أضيق الحدود ، بغض النظر عن جميع مصالح الشعب الكبرى ·

ولهذا فان انتصار عبد الناصر سيجتاز طريقا طويلا مليئا بالعواصف والحواجز والمفاجآت والتضحيات والآلام والجراح ..

وقد عقد عبد الناصر عزمه على أن يرتفع دائما فوق كل هذه الآلام والجراح والتضحيات ، ويتخطى دائما حواجز الطريق ، ويصمد لعواصفه، ويتمالك جأشه أمام مفاجآته ..

فهذه الآلام والتضحيات والحواجز هي علامات الطريق النبيل الذى يسير فيه عبد الناصر ..

وقد اعتاد منذ عشر سنوات أن يرى هذه العلامات في طريقه ، فلا يتوقف عندها .. انه فقط يذللها أو يزيلها أو يهزمها .. ولكنه لا يقف عندها ، ولا يفكر في الوقوف ..

والذين دهشوا للثبات الرائع الذى أبداه زعيمنا البطل في مواجهة غدر العصبة الانفصالية الرجعية ، كان مبعث دهشتهم انهم لم يستطيعوا أن يعيشوا تجربة عبد الناصر .. كما يعيشها هو ..

ان الثبات في مواجهة الغدر والخيانة وكل المفاجآت الأخرى ، هو السلاح الذى يهزم به عبد الناصر عقبات الطريق .

وعلى هذا الضوء ، نستطيع أن نتبين منذ الآن مصير الانقلابيين الرجعيين فى سورية .

لقد نجحوا بعض الوقت فى تحقيق أطماعهم ومؤامراتهم وأقاموا لأنفسهم حكومات «كرتونية» يرعاها الاستعمار.. ثم انتفض الشعب وطرد الذين قاموا بالحركة .. ولكن الآخرين الذين حلوا محلهم أبوا الا أن يكونوا فى وضع لا يحسدون عليه ..

ولكن ...

.. هل انتهت الوحدة ؟

.. هل أصبحت سورية في واد .. ومصر في واد آخر ؟

.. وهل كان الحديث عن القومية العربية خرافة أو حلما تبخر بمجرد قيام الحركة الانفصالية فى سورية ؟

لقد أجاب الرئيس جمال عبد الناصر على هذه الأسئلة عقب حركة الانفصال بقوله :

« ليس هناك وقت يدعونا للتمسك بعروبتنا أكثر من هذا الوقت »

ثم قال في اليوم التالى .

« لا بد أن تكون النكسة نقطة بداية لانطلاقة جديدة من أجل كل أهدافنا »

.. وهكذا عرض الرئيس المشكلة .. ووضع الحل ..

فالوحدة ضرورة حتمية فرضها التطور التاريخي للشعب في سورية وفي مصر ٠٠ ولم تكن الوحدة شهوة طارئة ٠٠ أو نشوة غالبة ٠٠ ولكنها تمت استجابة لظروف تفرضها وتحتم وجودها ٠

٠٠ ظروف العدوان على مصر ٠٠٠ التي دفعت الشعب السوري الى نسف أنابيب البترول التي تمر بأراضيه

وظروف التجمعات التركية على حدود سورية وتحركات الاسطول السادس الأمريكي ومؤامرات الاردن ٠ ٠

لقد كانت في مصر حركة وطنية بلغت ذروتها ٠٠ وكان في سوريا أيضا حركة وطنية ملتهبة ٠٠ وتعرضت الحركة الوطنية في كل من سورية ومصر للمؤامرات والعدوان والتهديد ٠

فهل كان هناك مفر من وحدة تجمع الشعبين في نضـــال واحد ، وكفاح مترابط ضد قوى الرجعية والاستعمار ٠

فالظرف التاريخي ٠٠ أو الأخطار التي كانت تهدد الشعبين هي التي صهرت هذه الوحدة ٠٠ وهي التي خلقتها وكونتها ٠ ٠

فهل انتهت الحركة الوطنية في كل من القطرين ؟٠٠ وهل انتهت الأخطار ؟

اذن لماذا حدث الانفصال ؟

انها « النكسة » كما عبر عنها الرئيس ٠٠

فالحركة الوطنية لم تبلغ غاياتها ٠٠ والأسطول السادس كان يجول جنبا الى جنب مع الاسطول البريطاني حول المياه العربية ٠٠ والمؤامرات كانت ماتزال قائمة فلماذا حدثت «النكسة» ؟ ٠٠ وكيف تجمعت الرجعية ٠٠٠ وحدث الانفصال ؟

ثم ٠٠ أي نوع من الانفصال هذا الذي حدث ؟

لقد قامت في سورية حكومات رجعية ٠٠ ولكن هل قيام هـــذه الحكومات فصل بين الحركة الوطنية في سورية والحركة الوطنية في مصر ٠٠ وهل استطاعت هذه الحكومة أن تقف حائلا بين وحدة الاهداف للشعب في سورية والشعب في مصر ٠٠ لقد قالها الشعب السوري قبل أن تمضي ستة شـــهور على الانفصال حين أطاح بالانفصاليين الذين قادوا حركة المؤامرة ٠

ومع ذلك ٠٠ فالوحدة مازالت قائمة

ـ الاخطار التي تهددنا في مصر ما زالت تهدد شعب سورية ٠

ـ والاهداف التي نسير اليها في مصر ٠٠ يكافح من أجلها شعب سورية ٠

ـ والمصالح المشتركة بين الشعبين لم ولن تتغير ٠٠

فالوحدة كتطور تاريخى لازم للشعبين فى مصر وسورية مازالت قائمة .. والنكسة التى حدثت لم تطعن الا الشكل .. والحكومات الانفصالية التى قامت فى سورية والتى ظنت أنه بوجودها قد فصمت الوحدة انهارت أمام هدير الجماهير وزحف الجموع فى سورية ..

ولكن الصراع ظل قائما فى سورية ..

انه الصراع الذى كان قائما قبل الوحدة .. والذى عبر عنه الرئيس فى ذلك الوقت بقوله :

« اننى أعرف أن الوحدة حينما تقوم .. كل صاحب مصلحة عايز مصلحته بس هى اللى تتحقق .. فيه تناقض فى المصالح .. فيه تناقض فى الاهداف السياسية .. فيه تناقض فى أهداف الرأسماليين .. كل واحد طلب الوحدة لمصلحة تختلف عن الآخر ..

نعم .. كانت هناك مصالح متعارضة

.. الشعب يريد الوحدة ليحمى تطوره من مؤامرات الاستعمار .. والرأسمالية تريد أن تحمى نفسها من هبات الشعب السورى .. وهى أيضا تطمع فى فتح سوق مصر لها .. تطمع فى الاستفادة من تطور اقتصاد الجمهورية العربية ..

وتمت الوحدة فى هذا الجو المشحون من المتناقضات ..

وأسرع أصحاب الملايين يريدون أن ينهلوا من هذه البئر الجديدة التى فتحت لهم .. بئر الوحدة .

وشمر أصحاب الملايين السوريون عن أذرعهم واقترضوا أكثر من ٥٠ مليون ليرة من البنك الصناعى فى السنة الأولى لانشائه ..

وعارض أصحاب الشركة الخماسية مشروع التصنيع الاول للاقليم السورى ليحتفظوا باحتكارهم للسوق .. واستغلال الشعب السورى ..

وما حدث من أصحاب الملايين والاحتكاريين فى سورية حدث مثله من أصحاب الملايين والاحتكاريين فى مصر .. لقد ظنوا إن الوحدة تمت لحسابهم وحدهم وليست لجموع الشعب فى سورية وفى مصر .

ولهذا عندما صدرت قوانين ١٩٦١ ، أطاحت الضربة بأحلام اصحاب الملايين والاحتكاريين .

ولكن هناك الحتمية التاريخية

الحتمية التاريخية .. أى الظروف العالمية التى يكافح من خلالها الشعب فى سورية والشعب فى مصر هى التى فرضت الوحدة .. هذه الوحدة التى تمت خلال شعار « القومية العربية » ..

فما الحتمية التاريخية ؟

وما القومية العربية ؟

.. لقد ظلت مصر جزءا من الخلافة التركية حتى تم الاحتــــلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ..

أما بقية العالم العربى .. سورية ولبنان والجزيرة العربية والعراق .. وأجزاء أخرى من العالم العربى ، فقد ظلت تئن تحت الحكم التركى طوال صراعنا فى مصر ضد الحكم البريطانى ..

وما حدث فى مصر .. حدث ما يشابهه فى البلاد العربية ..

ففى ظل الاحتلال البريطانى لمصر ، كان مصطفى كامل يقول :

« ان اتفاقنا مع تركيا كان دائما أساسا من أسس سياستنا »

وفى المؤتمر العربى الاول الذى عقد فى باريس خطب أحد أعضاء المؤتمر قائلا :

« .. لا تتطرق الينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة « العثمانية » مادامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة »

ولكن تركيا رفضت اعطاء العرب حقوقهم وأقامت المشانق فى سورية ولبنان والعراق .. فهبت الثورة العربية .. هبت الشعوب العربيــة التابعة للدولة العثمانية تحرر نفسها ..

واشترك فى الجيش العربى للثورة ثلاثمائة جندى من الجيش المصرى مع ضباطهم وبطارية من المدافع .. وكان الضباط المصريون متفقين على أنه بعد دفع كابوس الاتراك عن البلاد العربية لابد من اخراج الانجليز من مصر وغير مصر ..

وهكذا بدأت نواة النضال المشـــترك بين الشعب فى مصر .. والشعوب العربية فى سورية ولبنان والجزيرة العربية .

ولكن حدثت النكسة .. وتقاسمت فرنسا وانجلترا سورية ولبنان وفلسطين والعراق .. وانفردت انجلترا بمصر .

وفى الوقت الذى كان الشعب فى مصر يشـــعل ثورة ١٩١٩ ، كانت الشعوب العربية تخوض معركتها فى موقعة ميسلون ..

وكما انتكست ثورة ١٩١٩ ، انهزمت الثورة العربية فى دمشق وأطاح الاستعمار الفرنسى بأول حكومة عربية أعضــاؤها من مختلف الشعوب العربية ..

ومنذ سقطت أول حكومة عربية فى ســورية أعضاؤها من مختلف الشعوب العربية ، لم تقم حكومة عربية مشتركة الا فى عام ١٩٥٨ عندما تمت الوحدة بين مصر وسورية ..

ولكن خلال هذه الأعوام من ١٩٢٠ الى عـــام ١٩٥٨ كانت فكرة الوحدة العربية تتبلور .. وتحاول أن تشق طريقها .. محـــاولات من التبادل الثقافى ... ومحاولات لاقامة العلاقات الاقتصادية ، وتأييد فى الكفاح لكل ثورة يقوم بها شعب عربى ..

وفى عام ١٩٥٨ ..

وبمعنى أدق فى تلك اللحظة التاريخية .. فى تلك اللحظة التى انقسم فيها العالم ..

فى تلك اللحظة التى تقفز فيها البشرية ، بعلومها وحضارتها نحو الفضاء ..

فى تلك اللحظة التى تعمل فيها كل دولة كبرى على أن تجد مسكنا لائقا لكل فرد من أبنائها .. وأن تيسر العمل لكل أفرادها ..

تمت الوحدة بين سورية ومصر
لقد كان العالم يمر بأهم مراحل تطوره ..
فأين كنا نقف نحن ؟

***

من قبل .. خرجت الشعوب العربية من تحت الاحتلال أو الانتداب أو الوصاية لتجد نفسها وسط هذه المرحلة .. تريد أن تحافظ على تحررها وتريد أن تلحق بالحضارة الجديدة .. وتريد أن تتبوأ المكان اللائق بالانسان ..

ووجدت أن مقومات القومية العربية تكاد تتكامل بل تفرض نفسها ووجودها .

- اللغة الواحدة التى تربطها .
- والكفاح المشترك ضد الاستعمار .
- التفاهم القائم على أسس ثقافية مشتركة .
- ثم الرغبة فى النهوض من مرتبة التخلف .

كل هذا كفيل بأن يدفع عجلة التطور بين الشعوب العربية فى سرعة وقوة للحاق بالعالم فى مدنيته الخاضرة ..

ولكن هل كان يمكن أن تتحد دول تعيش بعقلية القبيلة أو الاقطاع مع دول قفزت الى مرحلة التخطيط فى الصناعة ..

كانت أقرب الشعوب بعضها الى بعض فى التطور والنضج والاهداف هما الشعب السورى والشعب المصرى ..

ولهذا قامت الوحدة بين الشعبين بارادة دافعة ورغبة فى التطور الصادق ..

وكان يمكن أن تتم اشكال أخرى من الوحدة بين الجمهورية العربية وبقية الدول العربية ..

ولكن الرجعية العربية تريد وحدة حكومات .. لا وحدة شعوب .. تريد أن تحافظ على الاوضاع القائمة .. ولا تريد أن تندفع مع التطور ..

ولهذا وقفت الحكومات العربية تعمل على تحطيم الوحدة بين سورية ومصر .

***

ولكن المعركة أكبر من أن تنتهى بنكسة .

فالمعركة يخوضها شعب العـــراق لاسترداد بتروله السليب ..
ويخوضها شعب الاردن ضد الملك حسين ..

كل الشعوب العربية اليوم فى حركة وغليان .. فقد تخلفت طويلا نتيجة كبت الاستعمار والرجعية وهى تريد أن تلحق بركب الحضـــارة الصناعية .. تريد أن تبنى صناعتها ..

والقومية العربية .. والوحدة العربية هما الكفيلتان بتحقيق هذه الأهداف فالشعوب العربية فى مختلف أنحاء العالم العربى تكون تعدادا ضخما ، كما تملك ثروات متعددة يمكن بتبادلها خلق مجتمع صناعى ..

ولكن هل يقبل سعود أو الامام أحمد أن يستبدل بالعلاقات القبلية علاقات اجتماعية تقوم حول الصناعة ..

وهل يقبل سعود أن يحول أموال متعته الى مصانع ..

ولكن الشعب اليمنى والشعب العربى فى الجزيرة يكافحان من أجل تحقيق هذه الاهداف ..

ولهذا كان أمام الجمهورية العربية احدى اثنتين :

ـ اما أن تقف فى مكانها تنتظر التطور الذى يحدث فى هذه البلاد حتى تمضى فى خطوات واحدة مع الحكومات العربية .

ـ واما أن نندفع فى طريقنا وتمضى الشعوب العربية معنا ..

وكانت هذه هى المعركة ...

***

لقد ظنت الرجعية العربية فى ســـورية أن الوحدة معناها تكوين جمهورية عربية أتوقراطية تملك زمام الشعب وتتحكم فى مصيره ..

ولكن ما حدث جعلها فى ذعر ..

ـ قضى على الاقطاع

ـ وحدث التأميم

وكان هذا فوق احتمال الرجعية ..

ولكن هل يمكن انتزاع هذه الحقوق من الشعب السورى .. واذا تم انتزاعها اليوم فهل يمكن محو آثارها .. وهل يمكن أن ينسى الشعب حقه فى استردادها

لقد حققت الوحدة الكثير .. وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى بيان ٦ من أكتوبر :

« ان هذه التجربة لن تكون الا خبرة وانما كانت التجربة عمليـــة

رائدة استفدنا منها الكثير في تقديرنا ٠٠ وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربي وللوحدة العربية التي أشعر ان ايماني بها يزيد قوة وصلابة ،

وكان هذا هو ماحدث بالفعل

فقد انكشفت المؤامرة أمام الشعب ٠٠ وأطاح بالانفصاليين المرتشين الذين كشفهم عبد الناصر فى أكثر من خطاب ٠٠ ولكن طعنات أخرى من الانفصاليين استطاعت أن تفرض سلطانها من جديد ٠٠ الى حين ٠٠

***

فما هي احتمالات المستقبل ؟

ان احتمالات المستقبل البعيد لاريب فيها، فهى النصر للعرب ، وهى الوحدة للعرب ، وهى التقدم الاجتماعى والازدهار والسعادة للعرب ٠

لقد قال عبد الناصر في احدى خطبه : فلنواجه المستقبل بشجاعة ، تجاه الأعداء ، وتجاه أنفسنا

وهذا التعبير الموجز البسيط الذى تحدث به عبد النـــاصر عن المستقبل يرسم لنا خط كفاحنا فى المرحلة القادمة من معركتنا ضـــد الأعداء ، ومعركتنا نحو أنفسنا لكى نرتفع أكثر وأكثر الى أعلى مســتوى يتطلبه النضال العربى فى مرحلته الشاقة القادمة ٠٠

ان متطلبات هذا النضال المرير ، تقتضى منا أن نتحلى بأعظم مزايا العرب القومية المأثورة وهى الشجاعة ٠٠

الشجاعة فى مواجهة الاعداء ٠٠

والشجاعة في مواجهة أنفسنا ٠٠

ان أعداء القومية العربية ليسوا هم فقط أعداءها المتربصين بهـــا خارج بلادها بل هم أيضا الاعداء الذين يتكلمون مثلنا باللسان العربى ، ونعنى بهم الرجعية الانفصالية ، خليفة الاستعمار والصهيونية ؟!

وفى مواجهة هـــذا الحلف الدنس ، حلف الاستعمار والرجعية ، لابد لنا من مواجهة أنفسنا بشجاعة ٠٠ يجب أن ننقد أعمالنا نقدا ذاتيا ٠٠ يجب أن نعرف ما أخطاؤنا بالضبط ؟ ٠٠ يجب أن نعرف الثغرات التى نفذ الينا منها أعداؤنا المستعمرون والرجعيون ٠ ٠

ولم يبق الآن ريب فى أننا سنواجه المستقبل بشجاعة تجاه الأعداء، وتجاه أنفسنا كما قال عبد الناصر ٠٠ لأن مستقبلنا ٠٠ مستقبل الأمـة العربية كلها يتوقف على شجاعتنا فى مواجهة المستقبل !



بطل السلام

لاول مرة فى تاريخ العرب الحديث ، وقف زعيم لهم مــــع أقطاب العالم ، على مرأى ومسمع من العالم ، يمسك معهم بيديه مصير العــالم ، ويقول كلمته في الحرب والســلام ، فيستمع اليه الاقطاب فى تبجيل ، ويضعون آراءه فى أرفع مواضع الاعتبار •

هـــذه هي الحقيقة الأولى التي رآها العرب بعيونهم أخيرا ، ورآها العالم كله معهم ، وهي حقيقة رائعة كان العرب يحلمون بها فقط ، ولم يتصوروا أبدا انهم سيلمسونها بأيديهم لمسا الا بعد زمن طويل من الكفاح والدم والدموع ••

ولكن جمال عبد الناصر أخرج للعرب هذه الحقيقة من عالم الاحلام الى عالم الواقع ، ووقفت الأمة العربية ـ ممثلة في شخصه ـ مع أقـوى الأمم ، جنبا الى جنب ، وعلى قدم المساواة •• فلم تعد الامة العربية ، وقد تولى زعامتها جمال عبد الناصر ، صوتا ثانويا في العالم ، ولم تعد تابعا متواضعا يجرى في آثار سادته الذين يتبعهم ، فاذا رفعوا أيديهم بالموافقة على أمر وافق هو أيضا عليه ، واذا قالوا : لا ، سارع وراءهم فقال : لا••

وهذه الحقيقة الرائعة ليست واقعا أدبيا فقط ، ليس وراءه رصيد مادي مساو له ، وانما هي واقع أدبي ومادى معا •• لأن عالمنا الحاضر ، عالم القوة والذرة والصواريخ ، لا يعترف بالحقائق الادبية ـ مهما عظمت ـ الا اذا استندت الى حقائق مادية عظيمة •

وقد سافر جمال عبد الناصر ووراءه جميع الحقائق المادية التى بناها في تاريخ بلاده وتاريخ المنطقة التى تعيش فيها بلاده ، وتاريخ العالم الذى يضم بلاده وبلاد الآخرين ••

سافر جمال عبد الناصر الى الامم المتحدة ووراءه الثـــورة العربية والقومية العربية والجمهورية العربية والمجتمع العربي الثورى الجديد ، وكلها مفاخر شاء التاريخ أن يتوج بها هـــذا الرجل لأنه صنعها بيديه ، وحماها بيديه ، وكانت يداه دائما في أيدى الشعب الكبير الذى يقـــوده ويعمل من أجله ويبنى كل هذه المفاخر •• وهذه الحقائق المـــادية التى أصبحت من علامات عصرنا ••

في الماضي سافر بعض رؤساء العرب الى الامم المتحدة ، فلم يكن لهم من الوزن والاعتبار أكثر مما لممثلي الدول التابعة مثل الدومينيكا وفورموزا وايران وحكومة سينجمان ري ٠٠ وكان أقصى ما يصنعه أولئك الرؤساء العرب أن يستدروا الدموع على حقوق العرب الضائعة ٠٠ ثم يعود الرؤساء الى عواصمهم العربية وكأنهم قد أدوا واجبهم وفعلوا كل شيء ٠٠

وشتان الان بين هذه الصورة الذليلة للعرب ـ ممثلة في رؤسائهم السابقين ـ وبين الصورة الجديدة التي ارتسمت أمام العالم في شخص جمال عبد الناصر ٠٠

ان عبد الناصر لم يستدر دموع العالم على حقوق العرب التي تتناهبها الايدي ، ولم يطلب الرحمة والعطف من المستعمرين ، ولم يلق هناك كلاما للاستهلاك المحلي ٠٠ بل وقف جمال عبد الناصر متسربلا الحقيقة الكبرى التي صنعها ٠٠

ان الاستقلال الذي كان ساسه «مصر» يستوهبونه من الكبار ، قد انتزعه جمال عبد الناصر فعلا من هؤلاء الكبار ، وعندما حاولوا استرداده هزمهم وألقى بهم الى البحر ٠

ان الامة العربية التي كانت راقدة في اليأس والهزيمة قد انتفضت يملؤها الامل ويدفعها النصر ، وأصبحت القومية العربية طليعة الحركات القومية في أفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ٠٠

ولم تعد الوحدة العربية كلمات تتأرجح في الهواء ٠٠ لقد بدأت نواتها بالفعل في الجمهورية العربية المتحدة ، التي ترسم للعرب جميعا الطريق الصحيح للتضامن والاتحاد في وطنهم العربي الكبير من المحيط الى الخليج ٠٠

ولم يعد المجتمع العربي رمزا للتأخر والجمود والتخلف بين المجتمعات الحاضرة ٠٠ لم تعد بلادنا جنة الاقطاع والاقطاعيين ٠٠ لان جمال عبد الناصر بدأ يبني المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني مجتمع القومية العربية الخاص الذي تتجمع فيه كل أحلامها في التقدم والازدهار واللحاق بعصر الفضاء والصواريخ ٠٠

وبلادنا لم تعد بستانا لا حارس له ، يتناهب اللصوص خيراته ، لان جمال عبد الناصر بنى لنا جيشا وطنيا قويا ، هو الآن أقوى جيش في المنطقة التي نعيش فيها ، وفي استطاعته أن يرد كيد المعتدين ويكيل لهم الضربة عشر ضربات ٠

وبلادنا لم تعد شريطا أخضر فقط ، لا نملك سواه ، ولا نجد الرزق الا بين ترابه السخي الوفي الغني ٠٠ لان جمال عبد الناصر قرر أن يضيف الى هذا الشريط الاخضر أشرطة أخرى خضراء ٠٠ قرر أن يبني السد العالي ويضاعف الرقعة الزراعية ، وينشيء المصانع الحديثة ، ويحول بلادنا الى ترسانة كبيرة نصنع فيها كل شيء ، ولا نحتاج لشيء كثير يأتينا من الخارج ٠٠

كل هذه الحقائق اندمجت فى الحقيقة الكبرى التى سافر بها جمال عبد الناصر الى الأمم المتحدة ووقف بها أمام أنظار العالم ٠٠ حقيقة الامة العربية الجديدة التى قفزت الى الصفوف العالمية الاولى ، وتبوأت مقعدها مع «الاقطاب» ، وتكلم زعيمها فاستمع اليه العالم كما استمع الى أكبر أقطاب الدنيا : ايزنهاور وخروشوف وماكميلان ونهرو ٠

وهذه الحقيقة المجيدة التى رفعت كرامة الشعب العربى فى وطنه الاكبر كله ، هى التى رشحت جمال عبد الناصر ، صانع هذه الحقيقة المجيدة ، ليقوم بالدور التاريخى العظيم الذى قام به فى الامم المتحدة ٠٠ وكان مستحيلا أن يقوم بهذا الدور ـ قبل اليوم ـ زعيم عربى من الطراز القديم الذى قضت عليه ثورة جمال عبد الناصر ٠٠

ماذا صنع عبد الناصر فى رحلته هذه التاريخية الى الامم المتحدة ؟٠

ان أول شيء فعله انما هو اعطاء العالم فكرة جديدة عن الأمةالعربية، بعد أن أعطى الزعماء القدامى كل العالم فكرة عن الامة العربية ظلت راسخة فترة طويلة ، كانسوا دعاية ضد بلادنا وأمتنا فى الخارج ٠٠

لقد كان ظهور عبد الناصر فى نيويورك ، معقل الصهيونية العالمية، ايذانا للعالم كله بأن العرب لم يعودوا تحت رحمة الصهيونية ٠٠ لقد أصبح العرب أقوياء يقودهم «ناصر» الذى يعتبر اسمه علامة عصر جديد للعرب فى جميع بلدانهم ٠٠

لم تكن نيويورك تتوقع زيارة مفاجئة كهذه يقوم بها الرئيس جمال عبد الناصر الذى يعيش فى نيويورك اعتى أعدائه ، ولهذا كان ظهور عبد الناصر فى نيويورك دليلا على انه أقوى من جميع العتاة الذين يناصبونه وامته اقسى ألوان العداء ٠٠

ومنذ اللحظة الاولى لوصوله الى نيويورك ، أصبح واضحا انه أحد الاقطاب القلائل فى العالم الذين يمسكون زمام الحرب والسلام ، ولم يجد الصهيونيون حيلة لاخفاء هذه الحقيقة فاستسلموا لها ، واستطاع عبد الناصر أن يعزلهم عن مراكز النشاط الرئيسية ، ويثبت للعالم ان العرب هم أصحاب المنطقة التى يعيشون فيها ، وأن الصهيونيين القلائل هم عصابة من الدخلاء والمغتصبين ٠٠

وعندما هرع ماكميلان الى حيث يجلس جمال عبد الناصر فىاجتماع الامم المتحدة ، ومد ماكميلان يده اليه ، شاهدت جميع الشعوب انتصار عبد الناصر فى حرب السويس عام ١٩٥٦ يلخصه هذا الموقف التاريخى بينه وبين رئيس الدولة المنهزمة فى حرب السويس ٠٠

ان عبد الناصر لم يذهب الى ماكميلان ولم يلتفت اليه ، لان ذلك ما كان يفعله زعماء العهود البائدة عندنا ، وكان لا بد اذن من أن يخطو رئيس وزراء بريطانيا العظمى الخطوة الاولى ، ويذهب الى جمال عبد الناصر ٠٠

وعندما التقى عبد الناصر بايزنهاور وخروشوف وغيرهما من قادة

الدول كان عبد الناصر يقف في مركز القوة المعنوية ، كما يقف فى مركز القوة المادية التى أتاحها له مركزه الضـــخم كرائد وقائد وزعيم لانشط واقوى قومية فى آسيا وافريقيا ..

وعندما تكلم عبد الناصر فى الامم المتـــحدة ، هرع لسماعه كل مندوبى الدول ، وجلس يصغى اليه جميع الزعماء والرؤساء ، ولم يتخلف عن سماعه حتى وفد اسرائيل بقيادة جولدا مائير .. لان كلمات عبـــد الناصر موضع اهتمام العالم بأسره ، لا فرق فى ذلك بين أعداء عبد الناصر وأصدقائه ..

ودوى اقتراح عبد الناصر فى الامم المتـــحدة باجتماع ايزنهـــاور وخروشوف دوى القنبلة ، وتحول على الفور الى اقتراح تاريخى تقدم به جميع زعماء الحياد ..

***

وهكذا كان ظهور عبد الناصر فى نيويورك علامة انعطاف هام فى تاريخ العرب .. لقد انعطفوا من الدرب الضيق الذى كانوا يسيرون فيه الى طريق فسيح أصبحوا فيه قوة هائلة فى ميزان العالم .. ولم يعودوا وحدهم فى هذا الطريق ، فقد سار معهم فيه ثلثا سكان العالم فى القارتين الكبيرتين اسيا وافريقية .. وحتى أمريكا اللاتينية أصبحت تجد فى كفاح العرب بقيادة جمال عبد الناصر وحيا يلهمها فى كفاحها الشاق ، كما قال كاسترو لجمال عبد الناصر : « ان شعب كوبا من أشد المعجبين بالشعب العربى ، وانه يشـــعر بأن مجىء الرئيس العربى لزيارته فى حى هارلم يعد شرفا عظيما لكوبا وشعبها ، وخاصة ان شعب كوبا يكن شـــعورا بالاعجاب بالثورة العربية وبالعطف عليها .. وها نحن نرى أمامنا الزعيم عبد الناصر الذى سجل فى التاريخ تضحيات الشـــعب العربى يشجعنا على الاستمرار فى مكافحة المستعمرين والاستعمار كما فعـــل الشـــعب العربى » ..

وهكذا أصبح عبد الناصر فى نظر العالم مرادفا للعرب .. ان اسم «ناصر» هو بالضبط اسم الامة العربية فى كل مكان ، وقد ارتفعت مكانة الامة العربية عندما أصبح اسم ناصر مقرونا بالجهود العظيمة التى بذلها ويبذلها دائما فى سبيل السلام والمحافظة على الاستقلال والحياد .

وكانت مهمة عبـــد الناصر فى نيويورك هى بالفعـــل المهمة التى تمنتها كل الشعوب . ففى نيويورك جاء عبد الناصر ليقابل الشعوب كلها ممثلة فى الامم المتحدة ، ولم يتلق الدعوة من أحد ، لأن عبد الناصر تعود دائما أن يلتقى بالشعوب دون وساطة .. ويتحدث اليها دون أن يحول بينه وبينها حائل ، فالمصالح التى يدافع عنها عبد الناصر وتدافع عنهـــا الشعوب مصالح واحدة ، لا تتناقض ولا تتعارض وتتجه كلهـــا فى آخر المطاف الى هدف واحد ، هو حماية الســـلام العالمى ، وازدهار الرفاهية للانسانية كلها ، وحماية الشعوب الصغيرة من أن تقـــع فرائس للدول الكبرى المدججة بأسلحة الدمار الشامل .

وهكذا التقى عبد الناصر بالشعوب فى الامم المتحدة ممثلا للشعب العربى وللقومية العربية ، وهو بهذه الصفة وقف أمام العالم كله ممثلا لقوة صاعدة جبارة تشارك بقوة وجسارة فى صنع التاريخ الحديث لمنطقة الشرق الاوسط كله ، بل وللعالم بأسره وكان لقاء عبد الناصر بالشعوب فى الامم المتحدة ممثلا للضمير الانسانى الذى تتضمنه دعوة الحياد الايجابى التى كان عبد الناصر دائما فى مقدمة الحاملين لرسالتها والمدافعين عنها ، والمؤمنين بأثرها العظيم فى حراسة السلام العالمى ، وحماية الجنس البشرى ، وصيانة استقلال الشعوب الصغيرة وفتح أبواب جديدة تدخل منها شعوب أخرى تنتزع استقلالها من الاستعمار ..

وعندما التقى عبد الناصر بالشعوب فى الامم المتحدة كان ممثلا للمجتمع الجديد فى بلاده التى تبذل كل جهدها للحاق بموكب العصر الحديث فى ميادين الصناعة والزراعة والعلم وغيرها من ميادين الحياة وبهذه الصفة وقف عبد الناصر أمام العالم كله ممثلا لقوة التطور فى الشعب العربى .. وهى قوة هائلة ذات آثار شديدة الفعالية ، استطاعت خلال سنوات قلائل أن تقتلع كثيرا من جذور الرجعية وتغرس كثيرا من جذور التقدم ، وتفتح للأمة العربية باب العصر الذرى وعصر الفضاء .. وتقف بالانسان العربى على رأس الطريق الذى سار فيه انسان النصف الثانى من القرن العشرين . والتقى عبد الناصر بالشعوب فى الامم المتحدة كقائد وطنى لبلاده ، قادها فى معارك عسكرية ضد أعداء كثيرين ، وألحق بهم هزائم تاريخية لم تحرر بلاده فحسب ، بل فتحت طريق الحرية لشعوب كثيرة تتطلع اليها فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

وهكذا .. التقى عبد الناصر بالشعوب فى الامم المتحدة وفوق جبينه عدة أكاليل .. لا اكليل واحد ، وتحدث اليها أحاديث قريبة الى قلوبها وضمائرها ومصالحها .. ووقف فى كل قضية موقفا ترضاه كل الشعوب لا شعبه فقط ، وبهذا عبر عبد الناصر عن روح سياسته العظيمة التى ربطت مصلحة الشعب العربى بمصالح الشعوب الحرة جمعاء وجعلت الشعب العربى حليفا لجميع الشعوب الحرة المكافحة .. لا يعادى الا من يعاديه ، ولا يتكص على عقبيه فى معركته المجيدة ضد الاستعمار والصهيونية ..

***

ان عبد الناصر وضع قدميه لأول مرة على الأرض الامريكية ، وقد سبقه وجاء بعده رؤساء حكومات ودول من جميع القارات .. ولم يكن أحد يتصور ان هذا الحشد العظيم من قادة العالم يمكن أن يجتمعوا جميعا بدعوة من الحكومة الامريكية ، ولم يخطر على بال حكومة أمريكا أن رؤساء العالم سيجتمعون فوق أرضها هذا الاجتماع التاريخى ، الذى فتح الباب لاجتماعات أخرى تاريخية واسعة حاسمة ..

ان مصير الجنس البشرى ، هو الذى أرسل رقاع الدعوة الى هؤلاء القادة فكان لا بد لهم من تلبية الدعوة والسفر الى الارض التى كان من الاحتمالات البعيدة أن يسافر اليها الكثيرون منهم .

وقد سافر عبد الناصر الى نيويورك مدعوا من السلام ومن الشعوب، وحل هناك ضيفا على السلام وعلى الشعوب ، وليس له من هدف هنـــاك الا اقرار السلام فى سبيل الشـــعوب ٠٠ ولم يحدث قط فى تاريـــخ الدبلوماسية ان سافر رئيس دولة فى مهمة كهذه الى أرض بعيدة كأرض أمريكا تعج بمن يناصبونه العداء ، بل وبمن يعتبرونه عدوهم الاول ٠

ونزل عبد الناصر فى قلب نيـــويورك ٠٠ فى عاصمة الصهيونية الكبرى ٠٠ فى بلد يعيش فيه خمســة ملايين صهيونى يملكون ثروته ، ويؤثرون فى سياسته ، ويحتلون فيه مراكز القوة والتوجيه ٠٠

ولكن عبد الناصر لم يأبه لشىء من ذلك ٠٠ لم يفكر فى قـــوة الصهيونية الهائلة فى نيـــويورك ٠٠ لم يخش مؤامراتها وحماقاتهـــا ودسائسها ، لأنه أقوى منها كثيرا ٠٠ ولهذا ذهب اليها فى عرينها ٠

وقد كان سفر عبد الناصر الى نيويورك علامة خير كبـير للانسانية فى اللحظات الحرجة التى كان يمر بها السلام العالمى وتمر بهـا الشعوب الصغيرة وخاصة الشعوب المستقلة حديثا فى افريقيا ، كما تمر بها الامم المتحدة بالذات بعد التجربة القاسية التى شهدتها فى الكونغو ٠٠

وكما قالت جريدة الايكونومست البريطانية فان قرار سفر الرئيس عبد الناصر الى الامم المتحدة « قد طغى على كل القضايا السياسية الاخرى»

ولم تنكر الصحافة العالمية فى أمريكا ودول الغرب الاهمية التاريخية لسفر الرئيس الى الامم المتحدة ، ومن البديهى انه قـد ارتفعت الى جوار الحقائق كثير من الاكاذيب التى حاولت الصحافة الصهيونية والاستعمارية أن تثير غبارها فى طريق رحلة الرئيس ٠٠

وقد اعتدنا نحن العرب منذ وقت غير قصير أن نتجاهل الغبار الذى تثيره شياطين الاستعمار والصهيونية فى طريقنا لأن الحقائق التى نتسلح بها فى مواقفنا تتكفل دائما باضاءة طريقنا وكشف خصومنا واعلاء كلمتنا والحاق الهزيمة بهم ٠٠

لقد حمل الرئيس الى الامم المتحدة رسالة العرب التقليدية : رسالة السلام والحرية والاخاء ، وبرهن برحلته التاريخية هذه على أن القـومية العربية تعيش الآن فى مستوى الاحداث التاريخية الجسام التى يمر بهـا العالم ٠٠

وبين باندونج التى سافر اليها الرئيس منذ سنوات ٠٠ ونيويورك التى نزل فوق أرضها عاش العالم خمس سنوات عصيبة زحف خلالها الى حافة الهاوية عدة مرات ، وتقهقر عنها عـــدة مرات حتى باتت أعصابه مشدودة الى أقصاها ، متوترة الى حـــد الجنون ، مشتعلة لا ينقصها الا الانفجار النهائى الرهيب ٠٠

لقد اصطدمت كتلة الشرق بكتلة الغرب ، وامتدت يد كل منهما الى خنجرها الذرى لتغمده فى صدر الاخرى وأصبح العالم مهددا بمعركة فناء لا يفنى فيها الغرب وحده ، ولا الشرق وحده ، بل يفنى فيها البشر جميعا

وتنهار الحضارة من أساسها ، فكان لا بد أن يسارع المحايدون لاطفـاء النار ، ومنع امتداد لهيبها ، والحيلولة دون الكارثة ٠

وفي هذه الظروف الحاسمة قطع عبد الناصر المسافة بين القـاهرة ونيويورك مدعوا من الشعوب ليقول كلمة شعبه وكلمة الشـعوب في القضايا الكبرى المعروضة على الامم المتحدة في دورتها الخطيرة ٠

وفي نيويورك اجتمع ممثلو دول الاسـتعمار ، والدول المنكوبة بالاستعمار والـدول التي تحررت حديثا من الاسـتعمار ودول الكتلة الشرقية ، ودول الحياد ٠ وقد كانت فكرة اجتماع أقطاب الحيـاد في مؤتمر لهم فكرة ايجابية بحثها أقطاب الحيـاد في اجتماعاتهم الكثيرة ، وكان هدفهم من هذا المؤتمر العظيم المقترح أن يبحثوا الشـئون الدولية التي بلغت قمة الخطر ، وكان واضحا دائما ان هـذا المؤتمر الحيادي ستكون له فائدة مضاعفة اذا تم عقده داخل الامم المتـحدة ، وتبودلت رسائل كثيرة بين زعماء الحياد في آسيا وافريقيا وأوربا دارت كلها حول المشكلات العـالمية وضرورة ايجاد حل لهـا داخل الامم المتحدة ضمانا لاحاطتها بتأييد ممثلي أكبر عدد من دول العالم ٠٠

وقد تجلت هذه الفكرة الحيادية في البيانات الرسمية التي صدرت خلال اجتماعات الرئيس جمال عبد الناصر بزعمـاء الحياد الايجابي ، كالرئيس نهرو والرئيس تيتو والرئيس سوكارنو ٠

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الخامسة عشرة بعد أن وافقت على انضـمام قبرص وثلاث عشرة دولة افريقية جديدة وبذلك تضاعف عدد الدول غير المنحازة للأمم المتحدة وقويت جبهة الحياد وازداد نفوذ الجبهة الآسيوية الافريقية وتقلص النفـوذ التقليدي الذي كانت بعض الدول الكبرى تسيطر به على الامم المتحدة وقراراتها ، وحدث بذلك انعطاف تاريخي هام في حياة هـذه المنظمة الدولية التي علقت عليهـا الشعوب وما زالت تعلق آمالها في السلام والاخاء الانساني والغاء العبودية الاستعمارية ومحو التفرقة العنصرية وانهـاء الصراع بين الشرق والغرب ونزع أسلحة الدمار الشامل والسير في طريق التعايش السلمي بـين الدول جميعا ٠٠

وفي هذا «الطقس» الدولي المواتي اجتمع أقطاب الحياد في نيويورك، والتقى عبد الناصر برفاقه في الكفاح الحيادي ، وبدأ هؤلاء الأبناء البررة للانسانية نضالهم المشرف داخل الأمم المتـحدة لينتزعوا النصر لرسالتهم رسالة الحياد ، التي سميت بحق «ضمير الانسانية» ٠

***

وكانت الامم المتحدة في دورتها تلك تنظر آخطر القضايا ، وتحاول أن تتخذ فيها أخطر القرارات ، وعلى رأس هـذه القضايا الخطيرة قضية الجزائر وقضية الكونغو وقضيةفلسطين ، وقضايا افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية وخاصة قضية كوبا وقضية ايريان الغربية التي اقتطعتها هولندا من أندونيسيا وفرضت عليها نظام الاستعمار ٠

وكانت القضية الأساسية الخطيرة .. قضية نزع السلاح التى كان يجب أن تجد لها الشعوب حلا حاسما داخل الأمم المتحدة ، حتى لايجرى سباق التسلح بين الدول الكبرى الى غايته ، ثم يصطدم حاملوا السلاح اصطداما مروعا لا ينجو أحد من عواقبه المخيفة .

وقبل ذلك اقتصرت هذه القضية الخطيرة فى مباحثاتها على الدول الكبرى فى مؤتمرات مقفلة واجتماعات سرية ورسائل بين رؤساء الدول الكبرى تدور فى حلقة مفرغة ولا تهدف الا الى تبادل الاتهامات ، وكان المفروض انه اذا عرضت بعض الدول الكبرى فى هذه الدورة على الجمعية العامة مقترحات لنزع السلاح ذات صفة ايجابية فان الامم المتحدة بتشكيلها الجديد ، لن تخذل هذه المقترحات ، بل تقف الى جانبها وتعطيها على الاقل قوة ايجابية ترغم خصومها على عدم تجاهلها وعلى محاولة الالتقاء بها والتفاهم معها .

ولو نجحت الامم المتحدة فى اتخاذ خطوات ناجحة بشأن قضية نزع السلاح لكان هذا أول نصر ضخم تحرزه ضد عوامل الحرب وسباق التسلح والجفاء بين الدول الكبرى .

وكانت هناك أيضا قضية هامة تنظرها الامم المتحدة فى الدورة هى قضية عضوية الصين الشعبية فى الامم المتحدة ، فما زال كرسى الصين ذات الستمائة مليون نسمة يحتله ممثل المارشال شان كاى شك حاكم فرموزا .. وهذا الوضع يعرض السلام فى آسيا لخطر شديد كما قال شرى نهرو ، ولا بد والأمر كذلك من نظرة جدية فعالة تلقيها الامم المتحدة على هذه القضية التى طال عليها الامد وباتت خطرا ينبغى ألا يستهان به .

أما قضايا فلسطين والجزائر والبلدان الواقعة تحت نير الاستعمار فى افريقية وآسيا فان الدورة الخامسة عشرة كانت تعنى بالنسبة لها نقطة انطلاق قوية بعد أن تعثرت هذه القضايا طويلا فى أروقة الامم المتحدة بفعل دسائس المستعمرين .

وحول هذه القضايا كلها كان لا بد أن يصطدم الشرق بالغرب كالعادة ويتبادل أقطابهما الاتهامات ، ويجذب كل منهما الآخر الى حافة الهاوية ، ولا يبقى عندئذ مناص من أن يقوم الحياديون بدورهم الشريف فى سبيل السلام العالمى وفى سبيل تحرير الشعوب المستعبدة وفتح طريق الرخاء والتنمية أمام الشعوب المستقلة حديثا .

ولم يكن من المعقول أن يكون هذا الدور الذى يقوم به الحياديون فى الامم المتحدة دورا سلبيا ، أو تقتصر مهمتهم على ابعاد النار عن الفتيل، فلهم طاقة هائلة تجمع حولهم تأييد الشعوب فى الامم المتحدة وتمكنهم من أن يلزموا الطرفين المتنازعين بالجنوح الى الطريق الذى يحقق مصلحة الشعوب .

وهكذا بدا واضحا أن دور الرئيس عبد الناصر فى الامم المتحدة سيكون دورا بالغ الاهمية .. لا بالنسبة للشعوب العربية وحدها ولا بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط فقط ، بل للعالم كله بغير استثناء .

وهذه الاهمية البالغة لدور الرئيس فى الامم المتحدة هى التى أوحت اليه قرار السفر الى نيويورك ، وقد كان من المستبعد تماما أن يظل الرئيس فى عاصمة بلاده على حين يجتمع فى نيويورك اقطاب الحياد واقطاب العالم فى أكبر مؤتمر فى التاريخ الحديث ، لان الرئيس عبد الناصر يدرك جيدا مسئولياته كرجل حياد ورجل سـلام ورجل احداث تاريخية كبرى كان لها أعظم الأثر فى تطورات العالم خلال السنوات الحاسمة الماضيه ..

وكان هذا هو ما حدث بالفعل ...

فأمام العالم كله فى الأمم المتحدة ، وقف جمال عبد الناصر ، على منبر الجمعية العامة يرسم طريق السلام فى دورة السلام ..

والحق أن جمال عبد الناصر حين أعلنها من فوق المنبر مدوية بأن أعز أمانيه ان تمضى هذه الدورة فى التاريخ باعتبارها دوره السلام .. لم يكن يتمنى ذلك فحسب .. بل لقـد كان يخطو بالعالم كله خطوات كبيرة واسعه فى سبيل اقرار السلام وتهيئة الجو المناسب له ووضع الاسس الرئيسيه للوصول الى الهدف الذى نتمناه كل الشعوب .

ومن أجل تحقيق السلام.. لابد من عرض كل المشكلات على حقيقتها دون تحيز او تعصب .. ولابد من استعراض كل الأسباب التى ادت من قبل ولا تزال تهدد بقيام الحرب ..

وهذا هو بالضبط ما صنعه عبد الناصر ..

فعبد الناصر يعلم جيدا ان معركة السلام هى معركة الحـرية .. تماما كما يعلم أنه لكى ينتصر السلام وتنقذ البشرية حياتها كلها لابد أن تنتصر البشرية فى معارك الحرية .. ومن أجل أن تنتصر الحرية لابد من الوقوف فى وجه السيطرة وفى وجه مناطق النفوذ .. وفى وجه مؤامرات الاستعمار .. وهى كلها ليست سوى وجوه لمعركة الحريه فى العالم .. وفى سبيل الانتصار فى معركة الحرية لابد أن تعمل الأمم المتحدة .. ولابد من وضع حد لمعركة التسلح التى لا تعـرف سوى الشر .. والباطل .. والوحشية .. وكل هذه صور وأدوات للحرب .. التى لو قامت لقضت على كل آمال الانسان . ولانتهكت تطلعاته لتحقيق ظروف احسن تتهيأ فيها كل أسباب النمو والتقدم لمصلحة جيل الحاضر وأجيال المستقبل ..

من أجل ذلك .. شرح عبد الناصر كل مشكلات العالم .. وانتهى منها الى مواجهة الرجلين اللذين يقفان وجها لوجه وبين أيديهما كل أسلحة المعركة .. المعركة التى تهدد أمن البشرية .

ولئن كان مصير العالم اليوم ومستقبله تملك زمامه قوة الرأى العام العالمى ، والقوى المعنوية ذات الامكانيات والطاقات الاخلاقية اللا محدودة ، الا أن هذه القوى السلامية مازالت تتعـرض لتهديدات يمكن أن تعرقل سيرها ــ ولو مؤقتا ــ من أجل تحقيق هدفها النهائى الرامى الى تحقيق السلام للبشرية كلها .. هذه التهديدات تنبثق من الصراع المستعر المتميز بالعنف والدائر بين الشرق والغرب .. وكلا المعسكرين يملك من أدوات

الحرب والدمار ما يمكن أن يغرق العالم فى بحر من الدماء والآلام ..
ومن هنا برزت ضرورة تحويل الصراع العنيف بين المعسكرين الكبيرين الى منافسة سلمية شريفة تتاح فيها الفرص المتكافئة للجميع لكى يمارسوا الابداع وينشدوا التفوق داخل نطاق السعى لخدمة قضية الانسان الأساسية وهى تحقيق السلام الدائم المطلق الأبدى ..

والواقع أن أهم مشكلة قائمة بين المعسكرين الكبيرين ، وتنعكس جوانبها ومظاهر الصراع فيها على العالم كله هى مشكلة نزع السلاح .. ولا يمكن أن يزول قلق الناس وتنمحى مخاوفهم وشكوكهم من المستقبل الا اذا أمكن ايجاد حل واقعى ومعقول لهذه المشكلة المزمنة التى تتفاقم وتتعقد يوما بعد يوم .

لا شك أن كل ذلك هو الحقيقة .

فقد بات العالم كله يعيش تحت رحمة الصواريخ السوفيتية ، والطائرات الذرية الأمريكية ، ولم يعد هناك الا الحرب بديلا من السلام ..
وفى الحرب الذرية ـ لو وقعت ـ يفنى الرأسماليون وطائراتهم ورءوس أموالهم ، ولا يستطيعون أن يربحوا دولارا واحدا كما كانوا يربحون فى الحروب الماضية .. حروب الجندى والبندقية والسونكى .

وفى الحرب الذرية أيضا يتهدم البناء الكبير الذى بناه السوفيت فى ثلاثة وأربعين عاما وبذلوا من أجل بنائه العرق والدمع والدم والتضحيات الجسام ..
وفى الحرب الذرية .. فوق هذا وذاك .. يتعرض الذين ليست لهم علاقة ـ مباشرة أو غير مباشرة ـ بالصراع القائم بين الكتلتين للمصير المظلم .. الذى لن تستطيع فيه الصواريخ أو الرءوس الذرية أن تميز بين الظالم والمظلوم .

من أجل ذلك .. لم يبق الا أن يصيخ العالم سمعه الى نداء العملاق العربى الذى أبحر من شاطىء البحر الأبيض الى شاطىء نيويورك . ليخوض معركة السلام .. وهى معركة الناس كلهم ..

وليطلب من الرجلين اللذين يجلسان على رأس دولتين تملكان من الامكانيات العسكرية الهائلة ما يمكن ان يؤثر على مصير العالم ، أن يلتقيا تحت علم الأمم المتحدة ، وأن يبحثا ـ داخل نطاق هذه المنظمة الدولية ـ مشكلات بلديهما .
قضية نزع السلاح ليتفقا على الخطوط الرئيسية التى تقرب وجهات نظرهما ، ومن هنا يمكن الوصول الى اتفاق تسير الدول كلها بعده فى طريق السلام .
والعالم كله كان يعرف ان لكل من الرجلين شخصيته .. ومنطقه . وطريقته فى الايمان بالسلام .
وأول الرجلين هو خروشوف .. الذى وقف يتحدث عن السلام ونزع السلاح واستقلال الشعوب ، ثم يشير الى دول الغرب الكبرى ولسان حاله يقول : « صواريخنا فى القمر ، وصواريخهم غارقة فى البحر » .

والحق ان هذه الكلمة اللاذعة التى أرسلها خروشوف ، تلخص بدقة تامة حقيقة الموقف بين الشرق والغرب ·· فالسلاح النهائى ، أو الصاروخ الكونى كان رابضا فى قواعد الاطـــلاق السوفييتية لا فى القـــواعد الامريكية ولا البريطانية ··

وهذا الموقف بالذات ، لم يثمل خروشوف كالخمر ولم يفقـــده اتزانه ، بل فتح له أبواب المحيـــط الاطلنطى ، وقاد سفينته حتى ألقت مراسيها فى ميناء نيويورك ·

ذهب خروشوف الى هناك وهو يؤمن بانها فرصة لبـحث التعايش السلمى ولتحويل المعركة الى منافسة سلمية فى المجـــال الاقتصادى ، يخرج منها النظام الاقـــوى وفى يده النصر الحاسم على النظام الآخر ·· ومن الطبيعى ان السوفيت ، عاشـــوا مؤمنين بأن نظامهم سيفوز فى أية منافسة سلمية مع النظام الرأسمالى ·· وهو عكس ما يؤمن به المعسكر الغربى ·· الذى لا يشك أبدا فى انتصار نظامه على النظام الشيوعى ·

وكان هذا هو بالضبط ما يؤمن به أيزنهاور الرئيس الامريكى فى ذلك الوقت ·· فأيزنهاور وخروشوف اذن لم يسعيا الى لقاء بين النظامين على الصعيد الايديولوجي لان معنى هذا اللقاء نزول كل من النظامين عن عدد من مبادئه الاساسية ، وهو أمر مستحيل تماما ، ولا يمكن أن يفكر فيه الا الخياليون ·· وخروشوف وأيزنهاور واقعيان وليسا خياليين ·

ولكن الذى يسعى اليه الناس كلهم سواء فى المعسكر الشرقى أو الغربى هو أن تصير الحرب بـــين المعسكرين فى الظروف الراهنة أمرا مستحيلا أو بعيد الاحتمال على الاقل ··

فكل الناس يريدون السلام ··

كلهم يريدون التعايش السلمى ·· لانهم باتوا يؤمنون ان التعايش السلمى ضرورة حيوية لا للاتحاد السوفيتى فحسب ، ولا للدول المستقلة حديثا وحدها ، بل للدول الرأسمالية أيضا ·· ومن الممكن أن يلقى الناس جميعا بأسلحتهم فى جوف المحيط ، ويبدءوا تنافسا سلميا لانتاج اللحم والبيض والزبد وبناء المدن الجديدة ومحاربة الأمراض القاتلة واعـــلاء كرامة الانسان ··

***

من الذى يعارض اذن سيطرة السلام ؟

بصراحة انه الاســتعمار ·· فالاستعماريون يعارضونه ولا يريدونه ويرفضون أن يركبوا فى سفينته مهما أحاطت بهم أمواج الطوفان ··

ولكن الاستعماريين الذين يرفضون السلام ــ وان راحوا يتنادون فى الظاهر به ــ لم تعد لديهم القدرة على شن حرب يفوزون فيها ·· ان الحرب لم تعد نزهة الاستعمار ، ولم تعـــد القنبلة دجاجة تبيض الذهب لاحتكارات نيويورك ولندن وباريس ·· لأن الشعوب أصبحت من القـــوة بحيث تلحق بالاســـتعماريين فى أية حرب عالمية هزيمة مميتة تقضى على

نظامهم الى الأبد ، ولا يريد الاستعماريون بطبيعة الحـــال أن يموتوا ولا يريدون لنظامهم أن ينتهى هكذا بغير آمل فى العودة .

ولهذا السبب بالذات ينبغى على الاســــتعماريين أن يجدوا طريقا جديدا للحياة ، يبعد عنهم الموت وينفـــذ لهم ما يمكن انقاذه من نفـــوذ وسلطان وثراء ..

وحول هذه النقطة تلتقى جميـع المناورات والمؤامرات والمفاوضات والمساومات والنضال والكفاح فى عالمنا الحـــاضر ، عالم القلق الذرى والهوس الاستعمارى .. والامل العريض فى السلام ..

وهكذا كان لا بد للعالم كله أن يدرك ان أفضـــل طريقة لصيانة السلام ومنع الحرب ـ حتى لا يموت الاستعماريون وأعداؤهم معا ـ هى نزع السلاح نزعا شاملا ، مع الاشراف عليه بطريقة فعالة لا غش فيهـــا ولا خداع ..

وقد أعلن خروشوف فى الامم المتحدة انه موافق على نزع السلاح ، كما أعلن أيزنهاور موافقته أيضا ، ولم يبق ـ كما قال الرئيس جمـــال عبد الناصر فى خطابه فى الامم المتحدة ـ الا أن يجتمـــع خروشوف وأيزنهاور لينزعا سلاحهما بالفعل .

والحقيقة انه اذا تحسنت العلاقات بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا، فان العلاقات ستتحسن بين بقية دول العالم لأن حالة العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ذات تأثير ضخم فى حالة العـــلاقات بين بقية دول العالم ..

وهذا هو الذى جعل الدول المحايدة تسعى الى تحسين العلاقات بين وشنطن وموسكو ، وتحمل صيحات رؤسائها على منبر الامم المتحدة فى تلك الدورة ، هذه الرغبة الجياشة فى التقريب بين أقـــوى دولتين فى العالم ..

***

وقد كانت كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الامم المتحدة تحمل هذه الرغبة العامة التى تبديها شعوب البلدان المحايدة كما تبديها شعوب البلدان المنحازة نفسها .

فالشعوب كلهـــا تعلم ان المعركة فى الاصـــل معركة بين أمريكا وروسيا .. بين خروشوف وأيزنهاور .. وقد ذهب خروشوف الى نيويورك بالفعل ..

ولا يمكن ان يكون قد ذهب الى نيويورك ليضحك الامريكان كالمهرج السكران .. بل يجب أن يصغى أيزنهاور جيدا اليه ، لأن العـــالم كله يصغى اليه ويقدر كلماته ما دام لديه الاستعداد للسلام ..

وهذه هى فى الواقع مهمة زعماء الحياد والسلام .. مهمة جمـــال عبد الناصر ونهرو وسوكارنو وتيتو .

وجمال عبد الناصر عندما ذهب بنفسه الى الامم المتحدة ، وعندما يادر بدعوة خروشوف وأيزنهاور الى اللقاء ، لم يفعل ذلك بدافع تحقيق مكسب شخصي أو بدافع تقليد المغرمين بالدعاية ، وانما فعل ذلك لأنه يؤمن في أعماقه بقضية السلام ، ويؤمن – كما يؤمن الشعب العربي وكل الشعوب بأنه لن يمكن تحقيق التقدم وتنفيذ برامج التصنيع والرخاء كاملة الا اذا تحققت امكانيات العيش في هدوء وسلام ٠ عندئذ يمكن للحكومات وللشعوب معا أن تنصرف الى معركة البناء ٠٠ وليس أحرص على خوض هذه المعركة الهامة من شعوب نكبت بالاستعمار أجيالا طويلة ولحقها التخلف وفاتها – كما قال عبد الناصر – عصرا البخار والكهربا ويوشك أن يفوتها عصر الذرة ٠

ومن خلال مبادىء الحياد وعدم الانحياز برز اخلاص عبد الناصر وصدق دعوته لتهيئة فرص طيبة لكي يزدهر السلام وتنمو براعمه ٠٠

وعندما عاد بطل السلام ، بطل الامة العربية ، وملهم الشعوب الافريقية والآسيوية ٠٠ عاد من رحلته في سبيل السلام ، مقرونا اسمه بالسلام ، متوجا بالكرامة والايمان والثقة ، مسجلا لأول مرة في تاريخ العرب الحديث يقظتهم الكبرى أمام العالم ٠

ان ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك ليس خافيا على أحد في بلادنا أو في خارج بلادنا ، لأنه فعل كل شيء أمام أنظار العالم كله ، وهي تتابعه بحماسة وانبهار ٠٠ ولا يوجد في العالم الا عمي البصائر فقط ، من لم يروا ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك من أجل أمته ومن أجل العالم ٠٠

ان أضواء عدسات التصوير التي سلطت في نيويورك على عبد الناصر ، كانت خافتة جدا اذا قيست بأضواء التاريخ التي غمرته كأنها نور الشمس ٠٠

والحق يقال ان هؤلاء الزعماء البررة بشعوبهم وبالعالم كله ، عملوا طويلا لكي يجعلوا الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة دورة تاريخية للسلام العالمي ٠٠

وعندما يشيد التاريخ بالنجاح الذي حققته هذه الدورة ، فسيكون لعبد الناصر – كأبرز هؤلاء الزعماء – سطور طيبة يستحقها بلاريب ، لانه حرص أن يكون كما قال الدكتور براساد رئيس جمهورية الهند « مكافحا شجاعا في سبيل السلام » ٠٠

وكما تلتقط عدسة التصوير ملامح الوجه ، التقطت عدسة التاريخ ملامح أعمال هذا البطل العظيم ٠٠ أعمال جمال عبد الناصر ٠٠


الصراع
مع الرجعية



ان جمال عبد الناصر ، هو الهتـــاف الغريزى الذى تتسابق اليه السنتنا في كل مناسبة قومية وطنية ، ولكنه يصبح فى شهر يوليو من كل عام ، أكثر من هتاف تمليه الغريزة ٠٠ ان جمال عبد الناصر يتحول اسمه في شهر يوليو من كل عام وكأنه الاسم الخاص لكل عربى ٠٠ لأن شهر يوليو هو شهر جمال عبـــد الناصر ٠٠ الشهر الحار الذى استعار حرارته من ايمان جمال عبد الناصر ، واكتسب شهرته فى التاريـــخ بالاحداث الجسام التي صنعها فيه جمال عبد الناصر ٠٠ ودخل تاريـخ العرب الحديث يوم اختاره جمال عبد الناصر ليوجه فيه ضرباته الحاسمة لاعداء العرب ٠٠

لقد قاد جمال عبد الناصر شعبنا فقضى على الاستعمار وأخرجه من بلادنا ، وحقق بذلك حلما كان الكثيرون يعتقدون انه سيظل حلمـــا الى الابد ٠٠

وقبل ذلك قضى جمال عبد الناصر على النظام الملكى الفاسد وحاشيته من رجال القصر ورجال الاحزاب وسماسرة السياسة ٠٠

ووجه عبد الناصر ضربته الى الاقطاع فأنقـــذ شعبنا من الاخطبوط الذي عاش مئات السنين يمتص دماءه ٠٠

وكان القضاء على تحكم رأس المال في الحكم خطوة حيوية ، فخطاها عبد الناصر بحزم وقوة ٠٠

وتوج ذلك كله بانشاء جيش وطني ضخم ، وصناعة عربية متطورة ٠

ومن خلال هذه الخطوات برزت الملامـــح الاولى للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاوني الذى دعا اليه جمال عبد الناصر ٠٠

أن الاشتراكية هى صيحة هذا العصر كله ، ومصير القرن العشرين الى الاشتراكية بصورها المختلفة تبعا لاختلاف البلدان والشعوب ، ولهذا كان لا بد للأمة العربية من أن تضطلـــع بتجربتها الاشتراكية الخاصة لكيلا تتخلف عن التطور العـــام للجنس البشرى فى مرحلته التاريخية الجديدة ٠٠

وفى الماضى القريب الذى سبق ثورة ٢٣ يوليو المجيـــدة ، كان السياسيون والزعماء العرب يتجاهلون الاشتراكية ، بل ويعتبرون مجرد النطق باسمها رجسا من عمل الشيطان ..

وكان لا بد للعرب من جمال عبـــد النـــاصر ، يقودهم فى طريق اشتراكيتهم .. وهى اشتراكية عربية اللحم والدم لا صلة لها بغيرها من الاشتراكيات التى تنبع من تقاليد غير تقاليدنا ، وتنبت فوق أرض غـير أرضنا ..

ثم التفت عبد الناصر الى قضية الديمقراطية ، وكان لابد للديمقراطية كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر أن « تتلازم مع الوحدة الوطنية ، لأن المشكلة التى نواجهها هى : هل نكون أولا نكون ؟ .. وليس هناك مجال للخلاف ، ثم ان وجود أى خلاف فى هذه المرحلة كان معناه أن لا نكون على الاطلاق ، خصوصا والظروف الخارجية المحيطة بنا تتحفز لاستغلال أى خلاف .. ولم يكن الاتحاد القومى فى الواقع الا أداة لتحقيق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية » ..

ثم يجىء دور التعاون فى المجتمع الذى يقود عبـــد الناصر عملية بنائه ، فيقول عنه : « لم يكن من المعقول مثلا أن تكون الاشتراكية هى مجرد تحويل الاجير الى مالك أرض ، وانمـــا الاشتراكية الحقيقية تتأكد حين يواصل التعاون دوره بعد توزيع الارض على مالكها الجديد ، فيوفر له كل احتياجات الانتاج ، ويحميه من الاستغلال .. وكذلك الحال فى الصناعة » ..

وهذا النظام الاجتماعى الذى يرسمه جمال عبـــد الناصر ليس من اختراعه ، تماما كما قلنا عن «الوحدة» . وكما قلنا عن الاتحاد القومى .. فان الوحدة هى منطق تاريخ العرب وجد تعبيرا عن نفسه على يد جمـــال عبد الناصر .. وكذلك الاتحاد القومى ، فانه منطق التاريخ العربى الجديد بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة .. منطق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية ، كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر ..

وليس المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى مختلفـا عن كل ماسبق ... فالواقع أن جمال عبد الناصر لم يخترع هذا المجتمع ، وانما اخترعته طبيعة تطورنا الاجتماعى ، باعتبارنا عربا لنا تقاليدنا وعقائدنا الخاصة ، كما أن لنا ظروفنا وامكانياتنا الخاصة

ان المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى هو — كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر — «التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة» .. وهذا المجتمع هو أيضا كما يقول الرئيس «ليس اختراعا تنفرد به .. وانما هو التطور الطبيعى الى مداه» ..

وتجربة هذا المجتمع — بكل مؤسساته السياسية والاجتماعيـــة والاقتصادية — سيكون لنجاحها دوى فى العالم كله ، وأهمية تاريخية كبرى بالنسبة لبلادنا وبالنسبة للامة العربية كلها بل وبالنسبة للشعوب

افريقية وآسيا التى بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير فى طريق التطور المستقل .

لقـــد قطعت دعوة عبـــد الناصر ـ حتى الآن ـ عشر سنوات .. ولم يحدث فى التاريخ ان كانت عشر سنوات فقط مليئة بالاعمال الثورية مفعمة بالتحولات الجذرية ، كما حدث خلال السنوات العشر التى اكتملت من حياة الثورة العربية الاشتراكية الديمقراطية بزعامة عبـــد الناصر

وقبل ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كانت « القومية العربية » خيالا غامضا يداعب بعض الكتاب والشعراء والسياسيين الجدد والقـدامى فى البلاد العربية .

وفيما يختص بالقومية العربية فى مصر ، كان الاحتلال البريطانى ومن قبله الاحتلال العثمانى ، وعملاء البريطانيين والعثمانيين ، قد نجحوا الى حد كبير فى عزل مصر ، وهى قلب العالم العربى عن العالم العربى .

ومع أن الشعب المصرى كان يصف نفسه دائما بأنه «ابن عرب» .. الا أن العرب فى البلاد الشقيقة لم يكن لهم اتصال عملى بمصر .. كانوا هم أيضا منعزلين ، وأوشك مفهوم العروبة أن يقتصر على قيام دولة تضم العراق وجزيرة العرب والشام فقط .

وكان رجال الثورة العربية خلال الحرب العالمية الاولى بزعامة الشريف حسين يتصورون مملكة العرب فى المستقبل ، بغير مصر ، وبغير فلسطين ولبنان .. ولم يخطر على بالهم قط شمال أفريقيا العربى ، والســـودان العربى .

لقد كانت فكرة «القومية العربية» مشوهة وناقصة وغير صحيحة . كانت فكرة زعماء تسيطر عليهم أفكار القرون الوسطى وتسيرهم أهـــواء الاستعمار العالمى .

ثم جاءت ثورة يوليو المجيدة ، فوضعت هـــذه الافكار الخاطئة عن القومية العربية ، فى متحف التاريخ البالى ، وأخرجت من واقع حيـــاة الامة العربية المعاصرة ، ومن وقائع تاريخها العظيم الخالد ، عناصر الكفاح من أجل القومية العربية ، من المحيط الى الخليج .

وبطبيعة الحال ، لم يكن ممكنا أن يكافح عبد الناصر ورفاقه من أجل القومية العربية بمفهومها الصحيح ، بالأساليب التى « كافـــح » بهـــا الشريف حسين وزمرته من أجل هذه القومية .

لقد كان «كفاح» الشريف حسين فرعا من التدابير الاســـتعمارية لتقسيم مناطق النفوذ فى العالم العربى .. فكانت ممالك الهاشميين تحت رعاية النفوذ البريطانى .. فى حـين انضوت ممالك عربية أخرى تحت رعاية نفوذ استعمارى آخر .

أما كفاح عبد الناصر ، فقد استهدف قبل كل شىء قهر الاستعمار ومقاومة مناطق نفوذه ، وطرد هذا النفوذ خارج مصر ثم خارج العالم العربى .

وكان طرد الاستعمار ، هو الخطوة الاولى من أجل القومية العربية بمفهومها الجديد الصحيح ٠٠ أما الخطوة الثانية فكانت بنـــاء المجتمع العربى الجديد الذى يكون بمثابة مضمون اجتماعى للقومية العربية ٠٠

وحول هاتين النقطتين : طرد الاستعمار واقامة مجتمع عربى جديد ، ثار النزاع بين عبد الناصر من جهة وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية من جهة أخرى ٠

ان الرجعيين مستعدون لاقامة وحـــــدة شكلية تجمع العروش والقصور وملوك المال والارض فى صعيد واحد باسم القومية العربية ٠٠ وتحت أقدام هؤلاء الطغاة يجثو الملايين من أبناء الشعب العربى من محيطه الى خليجه ، باسم القومية العربية أيضا ٠

وكان العدوان الثلاثى فى ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ ذروة الصراع حين ذاك بين الاتجاه الشعبى بقيادة جمال عبد الناصر من أجـــل قومية عربية تقدمية ، وبين الاتجاه الاستعمارى الرجعى الذى يضم الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية ٠٠

وعندما انهزم العدوان الاستعمارى الصهيونى ، كان معنى هزيمته أن الرجعية العربية أيضا قد انهزمت فى معركة من أكبر المعارك الحاسمه فى تاريخ النضال العربى ٠

وضعف مركز الاستعمار والصهيونية فى الشرق العـــــربى ٠ ٠ وضعف ـ بالتبعية ـ مركز الرجعية العربية ، وارتفع المد الثورى الشعبى فى البلاد العربية كلها ، وكان أقصى ارتفاعه فى ســـوريا حيث فرض الشعب السورى ارادته فى فبراير عام ١٩٥٨ أى بعد خمسة عشر شهرا فقط من انتصار بور سعيد على العدوان ٠٠ وقامت الجمهورية العربية المتحدة من سوريا ومصر كحقيقة تاريخية فى نضال الامة العربية ترتبت على الحقيقة التى تمثلت فى انتصار مصر على العدوان الثلاثى ، بعناصره الاستعمارية والصهيونية والرجعية !

وهكذا لم يعد انتصار العرب على العدوان الثلاثى ، مجرد انتصار عسكرى وسياسى أحرزته دولة عربية واحدة ، بل تحول الى انتصار قومى واسع ، شمل جميع الاقطار العربية وعبر عن نفسه بقيام دولة عربية موحدة لأول مرة فى التاريخ العربى الحديث ٠٠

ولكن هذا الانتصار العظيم البعيد المدى ، لم يكن فيه القضاء التام على الاستعمار والصهيونية والرجعية وكان واضحا أن هذا الثالوث المعادى للأمة العربية ، يستجمع قواه للقيـــام بهجوم مضـــاد يسترد به بعض الاراضى التى فقدها ٠٠ ويتيح لنفسه فرصة جديدة للبقاء فترة أخرى ، قبل أن تقضى عليه حتمية التاريخ فى النهاية ٠

وكان قيام الحركة الانفصالية الرجعية فى سورية منذ شـــــهور ثمرة الهجوم المضاد العنيف الذى تركزت فيه قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية الى أقصى حد ، وهاجمت النقطة التى كانت ماتزال تنوء ببقايا جيوب الرجعية وعملاء الاستعمار ، وأوكار أعداء القومية العربية ٠٠

ومع ان الهجوم الاستعماري الصهيوني الرجعي المضاد ، قد ربح جولة في سورية ٠٠ فان النصر النهائي لا تقرره معركة واحـــدة ولا تقع النكسة التامة بسبب خسارة واحدة في معركة بمفردها

وهذه الحقائق يعرفها حتى الاستعمار والصهـــيونية والرجعية . ولهذا يتحفظون بينهم وبين أنفسهم في ابداء الفرح والثقة بما حدث في سورية ٠٠ ويمدون أبصارهم في تخوف شديد الى رد الفعـــل ٠٠ وهم يعرفون أن بناء مجتمع عربي اشتراكي يضع مضمون القـــومية العربية على صعيد الحياة الاجتماعية ، سيكون أكبر لطمة يرد بهـــا عـــرب الجمهورية العربية المتحدة الآن على المؤامرة الاستعمارية الرجعيـــة في سورية ٠

لقد كانت أمنية الاستعمار والصهيونية والرجعية ، أن يكـون رد عبد الناصر على ما حدث في سورية ، حملة عســـكرية ، ودماء عربية تصبغ وجه الارض ٠٠ ولكن عبد الناصر رد عليهـم بالمضي في بناء المجتمع العربي الاشتراكي ٠

وهكذا اندفعت في مصر عجلة العمل الثوري بأقصى قوتها وسرعتها

والثورة العربية في مضمونها الاجتماعي ، هي تنقل حياة الانســان العربي من القرون الوسطى الى النصف الثاني من القرن العشرين ٠

وليست هذه النقلة مجرد التحول من عصر الى عصر ٠٠ من عصر البعير والحصان الى عصر الذرة والصواريخ ، وانما هي نقلة من الظروف الاجتماعية والفكرية والنفسية التي يصنعها الآن كل شعب نفض عن نفسه نير الاستعمار والاحتكار الرأسمالي ٠

لقد استنفدت الاساليب الرأسمالية أغراضها وأفلست تاريخيا ، وهي تتلمس الآن ، حتى في قلب العالم الرأسمالي مخرجا من أزماتهـا المتلاحقة ٠

وكما أن القومية العربية الثورية رفضـــت المضمون الاجتمـاعي الاقطاعي ، فانها رفضت المضمون الاجتماعي الرأسمالي ٠ أي أن القومية العربية الثورية رفضت الرجعية على طريقة القرون الوسطى كما رفضت الرجعية على طريقة الدول الاستعمارية التي ما زالت تعيش ٠٠

ومن الجدير بالذكر هنا أن القومية العربية في تاريخها الطويل قد رفضت المضامين الاجتماعية البالية على مر العصور ٠٠

ففي صدر الاسلام ، رفضت القومية العربية ، من خـــلال العقيدة الاسلامية كل مضمون عبودي ٠٠ وكانت العبودية هي المحتوى الاجتماعي السائد حين ذاك في مجتمعات كسرى الفارسي وقيصر الرومي ، ومجتمعات الهند والصين

وفي العصور الوسطى حينما سادت النظم الاقطاعية ، كان واضحا تماما أنها مخالفة للتفكير العربي وكان السلاطين والاقطاعيون الذين حكموا البلاد العربية في العصور الوسطى من جنسيـــات غير عربية ، وكانت

أفكارهم التى فرضوها على الامة العربية والاسلامية ، أفكارا مستوردة من خارج الفكر العربى والوطن العربى ·· وكانت فى مجموعها مخالفة لتعاليم الدين الاسلامى ·

وفى العصر الحديث ، عصر الرأسمالية ·· حاول الرأسماليون العرب ، بالتحالف مع الاقطاعيين العرب اقامة كيان عربى رجعى ، يحقق مصالحهم ، ويدوس مصالح الشعب العربى ولكن هذا التحالف الرجعى لم يستطع أن يعيش فى ربوع العرب الا مستظلا براية الاستعمار ··

ولهذا السبب تمضى الثورة العربية بقيادة جمال عبد الناصر لتحقيق محتواها الاجتماعى التقدمى الذى يتعارض مع الاقطاع ، ومع الرأسمالية ، فضلا عن تعارضه الحاسم مع الاستغلال الاستعمارى ·

والذى يجرى اليوم فى مجتمعنا بمصر ، انما هو تحقيق عملى لثورية المضمون الاجتماعى للقومية العربية ··

والاشتراكية هى التعبير العملى عن هذا المضمون ·· وهى أساس جميع التحولات الاجتماعية التى ستتم فى بلادنا خلال السنين القادمة لتجعل كل شىء فى البلاد ملكا خالصا لاصحاب البلاد ، وهم العمال والفلاحون والمثقفون والملاك الصغار والحرفيون وجميع من يعملون ويكسبون بعرقهم وكفاحهم ، لا باستغلال جهود الآخرين ·

وقد كان مقررا من قبل أن تندفع جمهوريتنا فى تنفيذ هذه القوانين الاشتراكية ، ثم وقعت الحركة الرجعية فى سوريا بقيادة أعداء الاشتراكية ، فظن أعداء القومية العربية أن قادة الثورة فى القاهرة ، سيترددون فى تنفيذ القوانين الثورية وبناء الاشتراكية فى مصر ·

ولكن الذى حدث هو العكس تماما ·· اندفعت عجلة الثورة بكل قوتها تبنى الاشتراكية وتضع القوانين الثورية موضع التنفيذ ، بارادة الشعب كله بعماله وفلاحيه ومثقفيه وفئاته الواسعة الاخرى التى تجد مصلحتها كلها فى بناء الاشتراكية

وهذا دليل على أن « الاشتراكية » لم تكن صيحة دعائية فى بلادنا ، بل كانت وستظل دائما مضمونا ثابتا لقوميتنا العربية ·

والحماسة التى قابل بها شعبنا اندفاع عجلة البناء بكل قوتها تدل بوضوح على أن الشعب العربى فى مصر يعى دوره الثورى تمام الوعى وأنه يتمتع بيقظة ثورية ، وطاقة خلاقة ، وتصميم على البناء ·· هذه المزايا الشعبية كلها سيضعها الشعب بل لقد وضعها بالفعل ، فى خدمة البناء الاشتراكى بقيادة بطل الاشتراكية العربية جمال عبد الناصر ·

واذا كان الشعب هو البانى الاكبر لصرح الاشتراكية ، فانه لا يستطيع أن يتمكن من بنائها بسرعة ، الا اذا تسلح بمنظماته الثورية الاشتراكية التى تضم القاعدة الثورية وقيادتها بمستوياتها كلها ·

وفى خلال العمل الثورى للاشتراكية سيصادف الشعب بعض العوائق والصعاب ·· بل وبعض المؤامرات التى تحاول تدمير عمل

وما معنى نجاح بناء الاشتراكية فى بلادنا ..

ان معناه ان بلادنا العزيزة ستثبت عمليا ان المضمون الاجتماعى للقومية العربية ، مضمون ثورى تقدمى .. مضمون اشتراكى ، وليس مضموننا رجعيا كما يريد له الرجعيون والاستعماريون

ومعنى بناء الاشتراكية فى بلادنا أيضا أن يظهر لاول مرة فى التاريخ ، الانسان العربى الاشتراكى .. الانسان المتحرر السعيد الذى يتمتع بأقصى حاجاته من خيرات الحياة وهناءتها

وشعبنا وهو يبنى الاشتراكية الآن ، يدرك مصاعب البناء ولكنه يعلم يقينا ان هذه المصاعب ، ستصبح فى ذمة التاريخ عندما يرتفع صرح الاشتراكية العربى شامخا ، أمام أنظار العالم كله .

اننا الآن نبنى الاشتراكية : أى أننا نبنى السعادة لأنفسنا ولأولادنا والأجيال العربية القادمة ..

وبقيادة جمال عبد الناصر التى قهرنا بها أعتى عدوان عسكرى وسياسى وقع بعد الحرب العالمية الثانية ، سنقهر كل عدوان جديد ، يأتينا من الاستعمار ، أو من الرجعية ، أو منهما معا ..

وبقيادة جمال عبد الناصر ، سننتصر فى معركة بناء الاشتراكية .. من أجل حياة أفضل لكل أبناء هذا الشعب العظيم ..

***

وبعد ..

ان الصورة المصغرة للعملاق الكبير لا تعطى دائما كل ملامحه وخصائصه ..

وهذا مايصدق بوجه خاص على الرئيس جمال عبد الناصر ..

ففى عشر سنوات فقط أصبح عبد الناصر رمزا للامة العربية كلها ، واصبح شخصية دولية ضخمة ، وأصبح رجل سلام مسموع الكلمة ، وأصبح بطلا تحريريا تهتدى به شعوب آسيا وافريقية فى نضالها التحررى المجيد ..

وفى عشر سنوات فقط ، نفذ عبد الناصر برنامجه الداخلى الذى بدأ بطرد الملك وانتهى بطرد الاحتلال العسكرى والاقتصادى وتحرير الشعب من الاقطاع وسيطرة رأس المال ، ثم بدأ صفحة جديدة بالغة الاهمية ، هى صفحة المجتمع الديمقراطى الاشتراكى التعاونى الذى يحقق به عبد الناصر للجمهورية العربية المتحدة ، مجتمعا متكاملا متحررا من آفات المجتمعات القديمة المعادية للشعب وحقوقه وكرامته وتطوره .

وتجربة هذا المجتمع - بكل مؤسساته السياسية فى العالم كله ، له اهمية تاريخية كبرى بالنسبة لبلادنا وبالنسبة لشعوب افريقية وآسيا التى بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير فى طريق التطور المستقل .

وهذه الصفحات التى مضت لا تستطيع أن تعطى أكثر من صورة مصغرة جدا للعملاق عبد الناصر .. والصورة المصغرة كما قلت لاتعطى فكرة كاملة عن حقيقة العملاق .. وهذا الحديث عن الرئيس ليس سوى حديث عام ، يعطى فكرة عامة ، أما عبد الناصر العملاق الذى صنع معجزات ضخمة مذهلة .. فدعنا نقل لك اننا لا نستطيع أن نحدثك عنه حديثا وافيا .. ولا نستطيع ان نعطيك عنه فكرة كاملة .

ان المرء ينظر الى الشمس بجزء من عينيه ، ولا يستطيع ان يحلق فيها بملء عينيه .. ونحن العرب نعتقد - بدون محاباة للرجل الذى نحبه - أن شمسه تبهر كل عين ، وأن استيعاب ضوئها كله فوق طاقة العيون ..

ولكن التاريخ فقط يستطيع ان يفتح عينيه جيدا ، ويتأمل جمال عبد الناصر .. ويرى ماصنعه لشعبه فى عشر سنوات مرت كأنها عشرة أيام ..

وحسبك من كل ماصنعه عبد الناصر .. هذا المجتمع الجديد الذى نعيش فيه .. المجتمع الذى جعلنا نعيش لاول مرة منذ عدة آلاف من السنين .. فى ظل الكفاية .. والعدل .. والمساواة

فهرس

الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٣١٦٢٥



١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٣١٦٢٥



العدد ١٦٧